الأسس العلمية والقواعد المنهجية لتفسير القرآن الكريم

(الأستاذ سيد قطب أنموذجاً)

تأليف

د. خير الدين خوجة (الكوسوفي)

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية

جامعة طيبة – المدينة المنورة

2009

المحتوى

المقدمة		4
تمهيد	سبب اختياري البحث، إشكالية البحث، منهج البحث، تقاريظ العلماء على الأستاذ سيد قطب وتفسيره	7
قالوا عن الأستاذ سيد قطب	تقاريظ لكبار العلماء في حق الأستاذ سيد قطب	9
المبحث الأول	**التعريف بهذا المفسر، مولده نشأته، حياته وفكره، أعماله واستشهاده**	11
المطلب الأول	مؤلفاته وآثاره	12
المطلب الثاني	استشهاده	13
المبحث الثاني	**الرد على بعض الشبهات التي قيلت في هذا المفسر وتفسيره**	13
المطلب الأول	ذكر الشبهات والرد عليها	14
المطلب الثاني	أصالة المنهج الذي اتبعه الأستاذ الشهيد في تفسيره	19
المبحث الثالث	**آداب المفسر وشروطه والقواعد التي يجب إتباعها في تفسيره لكتاب الله (الجانب النظري)**	21
المطلب الأول	ذكر أقوال السلف من أئمة التفسير	22

المطلب الثاني	ذكر أقوال الخلف من أئمة التفسير	25
المبحث الرابع	**الأسس العلمية والركائز الثقافية لدى المفسر الأستاذ سيد قطب**	31
المطلب الأول	سمات وملامح هذا المفسر في تفسيره	31
المطلب الثاني	الطريقة التي سار عليها في تفسيره	32
المطلب الثالث	تأصيل قواعد علمية وثوابت منهجية في التفسير	34
المبحث الخامس	**من نتائج وثمار تلك الأسس الفكرية، ونماذج من تفسير الأستاذ سيد قطب (الجانب التطبيقي)**	37
المطلب الأول	نتائج وثمار تلك الأسس الفكرية والقواعد المنهجية	37
المطلب الثاني	نماذج من تفسير الأستاذ سيد قطب	44
الخاتمة		46
المصادر		48

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة [1]

الحمد لله الذي وفقنا لأداء أفضل الطاعات ووفقنا على كيفية اكتساب أكمل السعادات، وهدانا إلى قولنا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من كل المعاصي والمنكرات، بسم الله الرحمن الرحيم نشرع في أداء كل الخيرات والمأمورات، الحمد لله الذي له ما في السموات رب العالمين بحسب كل الذوات والصفات، الرحمن الرحيم على أصحاب الحاجات وأرباب الضرورات مالك يوم الدين في إيصال الأبرار إلى الدرجات، وإدخال الفجار في الدركات، إياك نعبد وإياك نستعين في القيام بأداء جملة التكليفات، اهدنا الصراط المستقيم بحسب كل أنواع الهدايات، صراط الذين أنعمت عليهم في كل الحالات والمقامات، غير المغضوب عليهم ولا الضالين من أهل الجهالات والضلالات. والصلاة على محمد المؤيد بأفضل المعجزات والآيات، وعلى آله وصحبه بحسب تعاقب الآيات وسلم تسليما.. أما بعد:

ومرَّ التفسير منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا بعدة مراحل، مما أدى إلى تحول مسار التفسير وظهور اتجاهات ومناهج عديدة وبروز قراءات معاصرة جديدة في تفسير القرآن الكريم، توافق أرباب المذاهب والعلوم المختلفة لدى بعض المعاصرين من أبناء جلدتنا. وتُعنى هذه القراءات الجديدة والمعاصرة استخدام النظريات الجديدة في تأويل وتفسير القرآن الكريم، والتي تؤدي إلى تحريف المعاني القرآنية وتناقضها مع الحقائق الشرعية وتعارضها مع المقاصد الإسلامية العليا. والسبب في ظهور هذه الأفكار والمذاهب الهدامة والعفنة؛ هو تلوث أفكار أصحابها بالمناهج الفكرية الغربية، وعدم احترامهم لقدسية القرآن الكريم وخصوصياته البلاغية والبيانية واللغوية، واعتباره كسائر النصوص البشرية. أصحاب هذه القراءة المعاصرة دعوا إلى: "أَنْسَنَةِ وعَقْلَنَةِ وأَرْخَنَةِ " النص القرآني،

1 هذه الدراسة في الأصل ورقة علمية قدمت في المؤتمر العالمي القرآني الثاني (لجمعية المحافظة على القرآن الكريم) 2-3.08.2008 عمان – الأردن بعنوان: (فهم القرآن الكريم...مناهج وآفاق)

ليصلوا في النهاية إلى ربط آيات القرآن الكريم بالظروف الزمنية وعلى أنه نص تاريخي بشري! واستخدموا مصطلحات جديدة خلاف المصطلحات الشرعية، مثل: الأبستمولوجيا، والأمبريقية ، والإسلاموية، والسلفوية، والماضوية، والأنطولوجية، والبلشفية، والديالكتيكية، والزمكانية والميكانزماتية، والهرمونوطيقية، والديماغوجية...الخ، وأطلقوا على القرآن الكريم (المدونة الكبرى)، و على الآية (العبارة)، وعلى نزول القرآن (الواقعة القرآنية)... ظلمات بعضها فوق بعض. ولا شك أن هذه المدرسة ما هي إلا امتداد لمدارس أساتذتهم من المستشرقين الذين قالوا بأن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما هي إلا امتداد لليهودية والنصرانية. ومنهج هذه المدرسة هو التحكّم في النص القرآني وتأويله وفق أدوات منهجية وألسنية غربية مغايرة للقواعد والأساليب العربية. ومن الذين حملوا راية هذه القراءة المعاصرة للقرآن الكريم في هذا العصر من يني جنسنا وأبناء جلدتنا نذكرهم لغرض العبرة والتحذير؛ محمد أركون العلماني الجزائري، ومحمد شحرور الماركسي السوري، ومحمد عابد الجابري الاشتراكي، وحسن حنفي المصري أستاذ الفلسفة على الفكر الاعتزالي، وعبد المجيد الشرفي التونسي، وجلال صادق العظم معاصر شيوعي سوري من أصل تركي. إن الأمة اليوم في أمسّ الحاجة إلى تفسير يُعيد صياغتها الفكرية من جديد، ويُخرجها من التفكك الذاتي، ويُحرّر ويفجر طاقتها الكامنة من أسر الجمود والتخلف، ويُجدّد فيها روح رسالة الاستخلاف وعمارة الكون. فالتفسير المطلوب هو ذلك التفسير الذي يخرج الأمة عن واقع التخلف ويلحقها بركب التنمية الحضارية والصناعية والإبداعية. مما لا شك فيه أن هذه القراءات المعاصرة آيلة إلى الفشل والسقوط بسبب جهلها بالقرآن الكريم وخصائصه اللغوية وأساليبه البيانية ومدلولاته البلاغية ومناهجه التفسيرية الصحيحة. إن المنهج الحركي التطبيقي الذي ندعو إليه، لجدير في هذا العصر بأن يُنْعَمَ النظر فيه و أن يُتبنّى في تفسير القرآن الكريم و فهمه و تدبره و قراءته، حتى تخرج الأمة الإسلامية من أزماتها الفكرية والنفسية والتربوية والأخلاقية والاقتصادية والدينية، و الذي سماه الأستاذ الشهيد سيد قطب: بالمنهج الحركي أو الديناميكي.

وأما طبيعة ومفهوم هذا المنهج التطبيقي الحركي، فقد بينه رحمه الله في مواطن عديدة من تفسيره ومؤلفاته قائلاً: "..إن – المسألة في إدراك مدلولات هذا القرآن و إيحاءاته..إنما هي استعداد النفس برصيد من المشاعر والمدركات والتجارب، تشابه المشاعر والمدركات والتجارب التي صاحبت نزوله وصاحبت حياة الجماعة المسلمة وهي تتلقاه في خضم المعترك..معترك الجهاد، جهاد النفس وجهاد الناس..جهاد الشهوات وجهاد الأعداء..جو مكة والدعوة الناشئة، والقلة والضعف، والغربة بين الناس..جو الشِّعَب والحصار، والجوع والخوف والاضطهاد والمطاردة، والانقطاع إلا عن الله..ثم جو المدينة: جو النشأة الأولى للمجتمع المسلم بين الكيد والنفاق..في هذا الجو الذي تنزلت فيه آيات القرآن حية نابضة واقعية..كان للكلمات و للعبارات دلالاتها وإيحاءاتها..إن طبيعة هذا الدين ترفض اختزال المعارف الباردة في ثلاّجات الأذهان الجامدة !.. إن " المعرفة " في هذا الدين تتحول لتوّها إلى " حركة "، و إلا ليست من جنس هذا الدين!ومن ذلك تنزلت الأحكام التشريعية كلها في المدينة كحركة في المجتمع المسلم الذي قام هناك، ولم ينزل حكم واحد منها في مكة ليختزن – كمعرفة مجردة – حتى يجئ وقت التنفيذ في المدينة ! إن المعرفة للمعرفة ليست منهجاً إسلامياً. في الإسلام المعرفة للحركة، والعلم للعمل، والعقيدة للحياة.. وطبيعة المنهج الحركي الإسلامي أن يقابل هذا الواقع البشري بحركة مكافئة له ومتفوقة عليه، في مراحل متعددة ذات وسائل متجددة.. ومن أجل أن الجاهلية لا تتمثل في «نظرية» مجردة، ولكن تتمثل في تجمع حركي على هذا النحو؛ فإن محاولة إلغاء هذه الجاهلية، ورد الناس إلى الله مرة أخرى، لا يجوز – ولا يجدي شيئاً – أن تتمثل في «نظرية» مجردة. فإنها حينئذ لا تكون مكافئة للجاهلية القائمة فعلاً والمتمثلة في تجمع حركي عضوي.. إن منهج التلقي للتنفيذ والعمل هو الذي صنع الجيل الأول. ومنهج التلقي للدراسة والمتاع هو الذي خرّج الأجيال التي تليه.."،

فرحم الله أستاذنا رحمة واسعة، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

المدينة المنورة/ 12 ربيع الأول/ 1429 هـ الموافق 20.03.2008

تمهيد : سبب اختيار البحث، إشكالية البحث، منهج الباحث و تقاريظ العلماء على الأستاذ سيد قطب و تفسيره

سبب اختيار البحث: أثناء قراءتي ومطالعتي لهذا التفسير العظيم، وجدت نفسي أمام موسوعة علمية دعوية ضخمة، متشعبة الأطراف مترابطة الأفكار. وجدت نفسي أمام عالم لغوي ومفكر إسلامي قد مسك بزمام اللغة العربية وناصيتها، يحركها ويطاوعها كيفما يشاء. قد لانت العبارات وانقادت له والكلمات والتعبيرات. كيف لا تنقاد لأمثاله وقد سخر قلمه في خدمتها من خلال الكتابة والتأليف في الأدب والشعر فترة من العمر غير قصيرة، حتى أصبح رائد هذا العصر في المجال الأدبي والبلاغي، وفي علم المعاني والبيان والبديع.

وجدت نفسي أمام مفكر ألمعي قد استوعب وفهم حقيقة وفلسفة الدعوة إلى الله تبارك وتعالى بكل أبعادها؛ الإنسانية والدينية والاجتماعية والعلمية، وأدرك أهمية وطريقة إنزال أحكام الشريعة الإسلامية إلى أرض الواقع. وقفت أمام أستاذ قد درس القوانين الوضعية والنظم البشرية؛ من شيوعية وديمقراطية ورأسمالية واشتراكية وعلمانية وإلحادية. وقفت أمام رجل عرف وسبر أساليب الطغاة والمبشرين والمنصرين من المجرمين. لقد اطلع على أهدافهم ومؤامراتهم ومدى حبهم لهذا الدين وأهله.

لقد جاء تفسيره هذا مخالفًا تماما للتفاسير التقليدية الأخرى. فمن خصائص تلك التفاسير التقليدية غلبة الجانب اللغوي أو الفقهي أو الكلامي الفلسفي..الخ. أما تفسير الأستاذ سيد قطب، فإننا نستطيع أن نلاحظ فيه بوضوح أن الجانب الدعوى والحركي والإصلاحي والتجديدي والروحي قد غلبت وطغت على بقية الجوانب، وهذه الجوانب كانت السمات والملامح الأساسية لهذا التفسير والمفسر، مما دفعني إلى اختياره ودراسته وتقديمه كنموذج صالح للمفسر المنشود في العصر الحديث.

وأما إشكالية البحث؛ فقد لوحظ أن هناك انحرافاً عن منهج القرآن الكريم في تفسير آياته وتدبر معانيه. ويرجع سبب هذا الانحراف إلى عدة أسباب وعوامل، منها: تفاوت مفاهيم الناس لفلسفة الدعوة

وأبعادها الدينية والتربوية، واختلاف الرؤية التي ينظر منها أصحاب التخصصات الدينية المختلفة، وعدم الأخذ بعين الاعتبار أحوال المخاطبين وفقه واقعهم، وقلة العلم بالأحكام الشرعية، وعدم فقه فلسفة التفسير ومبادئه و شروطه و آدابه. ومن الذين نحسبهم، والله حسيبهم — ولا نزكي على الله أحداً – أنهم فهموا فلسفة الدعوة إلى دين الله وتكاملت عنده أدوات وشروط وآداب المفسر؛ هو الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله.

أما منهجي في هذا البحث؛ فسيكون استقرائياً وصفياً وتحليلياً، مع عرض نماذج تطبيقية من أفكاره وآرائه؛ سواء أكان ذلك من تفسيره أو من مؤلفاته الأخرى، حتى نقف على آثار ونتائج تلك المؤهلات العلمية والثقافية التي كان يتمتع بها هذا المفسر المعاصر. أما البحث في العلوم الشرعية عامة وفي شروط التفسير وآدابه خاصة من أهم ما يجب الاعتناء به والتعرف عليه، حتى يصفو مشرب المفسر، ويحفظ روعة الوحي وجلاله.

قالوا عن الاستاذ سيد قطب رحمه الله:

" ...إن سيداً رحمه الله قد كتب تفسيره مرتين: مرة بمداد العالِم، وأخرى بدم الشهيد ... حروف القرآن نور ...و دماء الشهداء نور ...و" ظلال القرآن" نور على نور .." [2].

"..وقد لقي الرجل ربه شهيداً في سبيل عقيدته، و ترك تراثه الفكري وفي مقدمته كتابه في تفسير القرآن، المسمى: في ظلال القرآن ..."، "... و هو بحق ثروة فكرية اجتماعية هائلة لا يستغني عنها المسلم المعاصر ..." [3].

".. فإن (في ظلال القرآن) من أهم التفاسير لكتاب الله تعالى، و إنه يمثل لوناً جديداً في التفسير ونقلة بعيدة فيه، وأساساً لمدرسة جديدة فريدة متميزة في التفسير هي مدرسة (التفسير الحركي)، وإن سيد قطب يقف بظلاله رائداً للفكر الإسلامي المعاصر، ومجدداً في موضوعات أساسية في التفسير ..." [4].

"...يعتبر الظلال لوناً جديداً خاصاً فريداً من التفسير ويعتبر نقلة جديدة بعيدة في التفسير...يمكن أن تعتبر سيد قطب مفسراً موهوباً ومؤسساً لمدرسة متميزة فريدة في التفسير.."[5].

" لا شك أن الحديث عن سيد قطب –رحمه الله – تنصت له القلوب قبل الآذان، لا لأنه سيد قطب، ولكن لأنه مثال الداعية الذي أبى أن يخضع لجبروت الطاغية، فباع حياته ثمناً للدفاع عن عقيدته، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً.."[6]

---

2 زرزور، عدنان محمد، **مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه**، دار القلم، دمشق، ط3، ص :261-270

3 القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط 5-1981، ص 334-335

4 الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **في ظلال القرآن في الميزان**، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة السعودية، ط1986،1، ص :5

5 الرومي، فهد بن عبد الرحمن؛ **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، مكتبة الرشد، الرياض، ط4، 2002، ج 3، ص: 988، نقلاً عن: **في ظلال القرآن – دراسة وتحقيق**: د/ صلاح عبد الفتاح دحبور، ص: 212-213

6 من كلام الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي يحفظه الله، المرجع السابق، ج3، 998

وأقول أنا أيضا ودون مبالغة، والله على ما أقول شهيد:

إن التفسير "**في ظلال القرآن**" تفسير عقدي[7] دعوي، اجتماعي أخلاقي، أدبي بلاغي، منهجي أكاديمي، ديناميكي تربوي[8] معاصر من الدرجة الأولى. يُحيِ الله بقراءته القلوب الميتة، ويوقظ الضمائر الغافلة وينصر النفوس المهزومة. إنه يبكي العيون الناشفة، ويزرع في قلب قارئه حب الله ورسوله والقرآن والمسلمين وحب كاتب التفسير أيضا. كما أنه يوقد في نفوس الدعاة إلى الله وطلبة العلم الشرعي شُعلة الإيمان بالله للمضي قدما إلى الله، راسماً لهم خريطة الدعوة وكيفية الوصول إلى مرضاة الله من خلال تطبيق شرعه جملة وتفصيلا في كافة مجالات الحياة. يوضح الطريقة في كيفية التعامل مع المدعوين والمخاطبين على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم ومستواهم المعرفي والثقافي، آخذا في عين الاعتبار أحوالهم الفكرية والنفسية والسلوكية، متدرجا بهم إلى فهم سنن الله في نهوض الأمم والحضارات وانتصار الشعوب. إنه ينظّم أفكار المسلمين المتشتتة، ويقيّم صفوفهم المعوجّة، ويُجلي لهم حقيقة الإسلام وطبيعة المنهج الرباني للسير على بصيرة وعلم وهدى وكتاب منير. فطوبى لصاحبه ولقارئ تفسيره والعامل بما فيه، والله أعلم.

[7] **و يجوز: عقيدي** أيضا..كلا الاستعمالين مشاع بين الباحثين، أي نسبة إلى العقيدة

[8] انظر الدراسة الرائعة بعنوان: **معالم الفكر التربوي عند سيد قطب،** للدكتور محمود خليل أبو دف – أستاذ أصول التربية المشارك، نشرته موقع جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام 2002، http://uqu.edu.sa/page/ar/67820

المبحث الأول: التعريف بهذا المفسر؛ مولده، نشأته، أعماله واستشهاده

سيد هو ابن قطب بن إبراهيم بن حسن الشاذلي. ولد في التاسع من شهر أكتوبر عام ست وتسعمائة وألف للميلاد (10/9/ 1906 م)، بقرية موشا، إحدى قرية من قرى الصعيد، تتبع محافظة أسيوط، التي قدم إليها جده الخامس من الهند [9]. أحدث مولده حدثاً سعيداً لأمه بصفة خاصة لأنه طمأنها على استمرار واستقرار حياتها الزوجية، ولا سيما أنها الزوجة الوحيدة لأبيه الذي ينتمي إلى مجتمع قروي صعيدي الذي يعتبر الرجال ثروة للمفخرة والتكاثر.." [10].

لقد ولد رحمه الله : " في مجتمع قروي صعيدي الذي أحاط به آنذاك غلب الفقر وغلب الحرمان، غلب الجهل والمرض والكد المتواصل في الأرض والزرع، وغلب الجور من الحكام، حتى سيّرت الحياة فيه خرافات التقاليد و بدع المعتقدات، وحكّمته قوانين اللصوص والمناسر.."[11]. كان أبوه ميسور الحال، كريم الإنفاق[12] .

وفي 1948/11/3 م سافر سيد قطب إلى أمريكا [13] في بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج الأمريكية. أحدث سفر الأستاذ الشهيد سيد قطب إلى أمريكا تغييراً جذرياً في فكره، ولكن على عكس ما كانوا يتوقعون منه. فلقد ازداد الرجل إيماناً ويقيناً بالله أكثر من ذي قبل. فقد استيقن أن ما عند الإسلام من منهج ونظام وعقيدة للحياة هو الحق، وأن

9 الرومي، فهد بن عبد الرحمن؛ **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، مكتبة الرشد، الرياض، ط4، 2002، ج 3، ص:989

10 انظر:**الأعلام قاموس التراجم** ، لـ:خيرالدين الزركلي ، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين ،ط7-1987، ج 3،ص:147-148

11حسين، عبد الباقي محمد، **سيد قطب حياته وأدبه** ، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط 1-1986م ، ص :17، نقلاً عن:طفل في القرية،ص211-212.وانظر :**سيد قطب الشهيد الحي**، عبد الفتاح صلاح الخالدي ، ص:46 فما بعد .

12 بركات، محمد توفيق، **سيد قطب خلاصة حياته، منهجه في الحركة، النقد الموجه إليه**، ص : 9 .

13 انظر: **الأعلام** للزركلي،ج3،ص : 147-148 .

ما عند غيرهم هو الباطل..وعندما رجع سيد قطب من أمريكا ألف كتابه : (أمريكا التي رأيت)، و كان قد زود نفسه وفكره بالإيمان و شعور بالمسؤولية التي على عاتقه كداعية ومفكر.

المطلب الأول: مؤلفاته وآثاره

خلف الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله مكتبة ضخمة من المؤلفات المنشورة وغير المنشورة ومئات المقالات المنشورة في الصحف والجرائد والمجلات، وفي هذه الثروة الضخمة لأكبر دليل على سعة علم الرجل وثقافته. ويمكن تقسيم هذه الثروة العلمية الغالية باعتبار المراحل والتطورات الفكرية التي مر بها هذا العَلَم في حياته، إلى مرحلتين: الأولى: كتب ومؤلفات ما قبل انتسابه إلى الإخوان المسلمين، الثانية: كتب ومؤلفات ما بعد انتسابه إلى الإخوان المسلمين، أو بعد تفرغه للكتابات الإسلامية تفرغاً كاملاً. وفي حقيقة الأمر هذه مسألة مهمة للغاية، لأن معرفة مؤلفات الأستاذ حسب التسلسل التاريخي والمراحل الزمنية التي كتبها، مهم جداً لملاحظات التطورات الفكرية التي مر بها. و قد بلغ عدد مؤلفات الأستاذ الشهيد قرابة 80 مؤلفاً في مختلف المجالات الفكرية و الدينية و الأدبية، ما عدا كتابه الأم (في ظلال القرآن)، و ذلك حسب دراسة وإحصائيات الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي حفظه الله، بالإضافة إلى مئات المقالات التي كان يكتبها يومياً للصحف و المجلات المختلفة. و نظرًا لكثرة عناوين مؤلفاته فإن هذه الورقة العلمية المعدة للمؤتمر العالمي، ذات الصفحات المحدودة لا تسمح لي بأن أسرد وأذكر كل تلك الأعمال و المؤلفات[14]، و إلا لذكرتها.

المطلب الثاني: استشهاده

خاض الأستاذ الشهيد سيد قطب كل مراحل الصراع والمحن التي بدأت منذ عام 1954م، وقد أدرك الأستاذ سيد قطب هذا المعنى، وأكد عليه في مواضع عديدة في تفسيره وكتبه؛ أن طريق الدعوة إلى الله ليس مفروشاً بالزهور والرياحين، بل هي مليئة بالأشواك والعقبات. قُدّم للمحاكمة مع

14 انظر للمزيد: الخالدي ، **سيد قطب الشهيد الحي**، ص :219- 220 .

الكثيرين من الإخوان، وأصدرت السلطات المصرية الحكم عليه و على سبعة من إخوانه بالإعدام، ونفذ فيه الحكم بالإعدام في فجر الاثنين 13/جمادى الأولى / 1386 هـ، الموافق 1966/8/29 م. و بعد إصدار الحكم عليه قال الشهيد كلمته المشهورة : (الحمد لله لقد عملت خمسة عشر عاماً من أجل الحصول على الشهادة)[15] .

فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وجعلنا الله من أمثاله ومن الذين لا يخشون أحداً إلا الله، وأن لا يأخذنا في الله لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

15 انظر: **سيد قطب حياته و أدبه**، ص:47-48 ، وكذلك انظر: **سيد قطب سيرة ذاتية، ص**: 49

المبحث الثاني: الرد على بعض الشبهات والمطاعن في حق هذا المفسر ومنهجه في التفسير

المطلب الأول: ذكر الشبهات مع الرد عليها

لله در القائل: (**وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت – أتاح لها لسان الحسود**). لم يسلم الأستاذ سيد قطب من التهم والافتراءات من قبل أعدائه وخصومه، سواء المسلمون منهم أو غير المسلمين. ومن الذين نالوا من قدره و حطوا من شخصه كثيرون، نخص من بين هؤلاء؛ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي، والدكتور أحمد صلاح الدين الموصللي الذي قال: "..ولكن قطب لم يكن لديه معرفة عميقة بالفلسفة و العلوم و التاريخ ، أو حتى بالعلوم التقليدية، فبالرغم من أن معرفته كانت تتسم بالشمولية وتعدد الحقول، لم يكن سيد قطب عالماً بالمعنى العلمي الأكاديمي...و أنه أبدى فقراً في فهم النبوة ...وأن المفكرين الآخرين و حتى غير مسلمين أعطوا للرسول و دوره فهماً أفضل من سيد قطب، وأن الكثير من أفكار سيد قطب مشابهة لأفكار الفلاسفة ..." 16.

أما قوله: " **بأن سيداً لم يكن عالماً** "، فمقتضى هذا الكلام أنه جاهل!؟ فهذه الدعوى تحتاج إلى دليل لإثباتها تمشياً مع القاعدة العلمية عند علماء المسلمين: (**إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدعياً فالدليل**). فللأسف الشديد لم نر الدليل في كتاب هذا الأستاذ الأكاديمي!؟ لقد كثرت اتهاماته للسيد قطب عشوائياً دون أن يثبت لنا شيئاً من تلك الافتراءات في كتابه هذا، أو على الأقل أن يذكر خطأ واحداً من أخطاء سيد قطب في التاريخ أو في الفلسفة أو العلوم الأخرى ..لأن من شأن الجاهل أن يتخبط خبط عشواء، أو يخطئ أو يخون في النقل أو يغلط أو تنزلق قدمه أو ينزلق لسانه..الخ، و هذا مما لم يذكره لنا الأستاذ المذكور. فإلى كلام الأستاذ الأكاديمي تطرق احتمال كبير، ومع الأسف يسقط به الاستدلال، ولا يلتفت إليه، و الله أعلم. أما اتهامات وافتراءات

16 انظر: **الفكر الإسلامي المعاصر – دراسات و شخصيات – سيد قطب** – بحث مقارن لمبادئ الأصوليين والإصلاحيين د /أحمد صلاح الدين الموصللي ، ص :46 –56 – 57 – 152

الدكتور ربيع بن هادي المدخلي غفر الله لنا وله[17]، فليس هذا مجال مناقشتها والرد عليها. بل لا أبالغ، إن قلت إن من يملك ذرة من الثقافة الإسلامية إذا قرأ تلك الافتراءات التي سطرها الأستاذ المذكور في كتبه في حق الأستاذ سيد قطب، سيدرك تمام الإدراك وسيستيقن أنها تفقد الموضوعية والمنهجية العلمية في النقد البناء. وقد رجعت بنفسي إلى تلك الكتب والمقالات الانتقائية والقراءات الجزئية، فوجدتها، و الله أعلم، أن صاحبها ما أراد بذلك وجه الله عز وجل، بقدر ما أراد التشهير والاشتهار، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

و لا تفوتني في هذه المناسبة المباركة، دفاع المجاهد الشهيد عبد الله عزام رحمه الله عن سيد قطب في كتابه: (**عملاق الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب**)، عندما طالب الشهيد عزام من الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله أن يعتذر من سيد قطب...قال الشيخ الشهيد عبد الله عزام

17 و راجع للمزيد حول هذه الافتراءات و الأكاذيب في حق الأستاذ الشهيد: **العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم**، ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الفرقان، ط2، 2001، عجمان، الإمارات العربية المتحدة، و قد صدر هذا الكتاب بمقدمة من الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني رحمه الله، تورط هو الآخر في هذه المشكلة ووافق الأستاذ ربيع المدخلي وأثنى عليه ثناء حسناً، والله المستعان!! و انظر أيضاً: **الحد الفاصل بين الحق والباطل**، ربيع بن هادي عمير المدخلي، 2000، (ط.د.)، عجمان، الإمارات العربية المتحدة؛ **المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال**، 1998، ط2، عجمان، الإمارات العربية المتحدة، للمؤلف المذكور السابق؛ فقراءات وانتقادات الأستاذ ربيع بن هادي المدخلي تتسم بالانتقائية والجزئية والسطحية لبضعة من مؤلفات الأستاذ الشهيد سيد قطب، (لثمان مؤلفات فقط كما صرح هو بذلك)، من مجموع ثمانين مؤلفاً كما ذكرنا في ترجمته. و أيضاً تتسم بالتلفيقية بين كلامه هو، و بين كلام وفتاوى و آراء العلماء والمشايخ في المملكة العربية السعودية عندما سئلوا: ما رأيكم فيمن يقول كذا و كذا (دون ذكر لاسمه)، و يقتبسون سطراً واحداً من كلام الأستاذ سيد قطب، دون أن يذكروا حتى اسم الأستاذ أو شيئاً من جهوده المباركة ! وذلك للإيهام و التمويه و التضليل. فكانت الإجابات من هؤلاء العلماء الأفاضل، إلا ما رحم الله، دون أن يفهموا حقيقة السؤال أو السائل أو المستفتي. فلا أدري كيف خفي على الدكتور المدخلي الحقيقة العلمية؛ أنه لم يكن من منهج السلف الصالح تتبع زلات الآخرين! والله المستعان. كما أنها أيضاً تتسم بالتحريضية والعداوة ضد مؤلفات الأستاذ سيد قطب. تظهره هذه الحقائق لكل من يطالع ردوده على الأستاذ سيد قطب. وانظر أيضاً: **أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب و فكره** للمؤلف المذكور؛ وانظر أيضاً: **الأضواء السلفية على الجماعة الإخوانية**، تأليف أم أيوب نورة بنت أحسن غاوي، ط1، 2004، مجالس الهدى للإنتاج و التوزيع، الجزائر، حيث لم تسلم هذه الكاتبة أيضاً من الوقوع في مثل هذه التناقضات و الترهات، حيث صدرت كتابها بمقدمة من الشيخ العلامة المجاهد، الدكتور ربيع بن هادي المدخلي، كما سمته هي !!

قولته المشهورة المبنية على العلم و الفقه و الفهم الأصيل للإسلام و أصوله..قال: "كان الأولى و الأورع في دين الله قبل أن نتهم سيد قطب بالقول بوحدة الوجود، أن نقرأ له أولاً، ثم بعد ذلك نقدم المنطوق الصريح له على المنطوق غير الصريح، و نقدم المفسر من قوله على القول المبهم له، و نقدم بالترجيح المنطوق على المفهوم، ونقدم عبارة النص على إشارة النص. هذه من القواعد الأساسية في علم الأصول للخروج بأحكام. فإذا تعارضت النصوص لا بد من الجمع أولاً، ثم النسخ، ثم الترجيح.." [18]. لعمري إن هذا الحكم هو حق الإنصاف و عين العدل..فرحمكما الله عز وجل أيها الشهيدين الفاضلين. و يمكننا أن نجمل الشبهات التي أثيرت حول تفسير " في ظلال القرآن" في شبهتين هما :

1. **شروط المفسر غير متوفرة في شخصية وفكر سيد قطب رحمه الله ؟!**
2. **تفسير " في ظلال القرآن" يخالف منهج أهل السنة والجماعة في التفسير؟!**

أ– قد قام بعض الباحثين والدارسين الفضلاء المهتمين بهذه القضية بتفنيد هاتين الشبهتين، وللأهمية نذكر مقتبسات من كلامه: " إن الشبهة الأولى لا تقوم على أي أساس علمي، بل هي فرية يطلقها أعداء الشهيد سيد قطب رحمه الله و هي دعاية مغرضة ضد تفسيره "في ظلال القرآن" الذي يعتبر بحق أهم تراثه الفكري...ولعلنا إذا رجعنا إلى ترجمة سيد قطب، سنجد أنه حفظ القرآن ولم يبلغ العاشرة من عمره... وفضلا عن ذلك فسيد من خريجي كليه دار العلوم، وهي معقل لعلوم اللغة العربية، والدراسات الإسلامية فكيف يقال عنه إنه لا تتوفر فيه شروط المفسر؟.

ثم إذا دققنا النظر في شخصية سيد قطب العلمية، وجدناه متوفرا على أهم الشروط العلمية والأدبية والأخلاقية، التي تؤهله لأن يكون مفسرا للقرآن الكريم. ويمكننا أن نحددها في النقط التالية:

18 **الأضواء السلفية على الجماعة الإخوانية**، ص: 192، نقلاً عن: عملاق الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب، للشيخ عبد الله عزام.

1- كان سيد قطب رحمه الله على معرفة تكاد تكون تامة باللغة العربية، كما أنه خبير الأساليب العربية، واطلع على خفاياها البلاغية، ويتضح لنا ذلك من خلال كتاباته الأدبية والنقدية.

2- يملك سيد قطب رحمه الله موهبة أدبية، وطاقة فكرية، مكنته من أن يبدع في مختلف الأجناس الأدبية، كالقصة، والشعر.

3- كان سيد قطب على اطلاع واسع على الفكر الغربي، ووعي شامل بمشكلات العصر وأزماته، مما جعله يضع يده على مكمن الداء في الأمة الإسلامية، ويعالج قضاياها ومشكلاتها من وجهة نظر إسلامية.

4- ومن أهم آداب المفسر التي كان يتمتع بها سيد قطب رحمه الله؛ الإخلاص وصدق التوجه إلى الله تعالى، وقد زادت الابتلاءات المتوالية عليه تأكيد إخلاصه، وسعيه إلى مرضاة الله، وزهده في الدنيا وإصراره على قول كلمة الحق، ولو كان ذلك يساوي حبل المشنقة، وقد حصل!.

ب- أما الشبهة الثانية والتي يدعي أصحابها أن " في ظلال القرآن" يخالف منهج أهل السنة في التفسير، المبني على القواعد الخمس الأساسية: تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة، تفسير القرآن بقول الصحابة، تفسير القرآن بقول التابعين وتفسير القرآن بمطلق اللغة. نحب أن نوضح أن منشأ هذه الفرية هو السطحية في قراءة ودراسة "في ظلال القرآن"، وتعميم الأحكام المستخلصة من دراسة جزء بسيط من التفسير على التفسير كله...وهناك نقطة أخرى قد تزيل كثيرا من اللبس والغموض، وتبوئ تفسير "في ظلال القرآن" مكانته المتميزة، وهي أنه على خلاف ما يدعى من أن هذا التفسير تفسير أدبي أو اجتماعي، أو هما معا، فإن التفسير في حقيقته غير ذلك كله، وتصنيفه التصنيف الصحيح لا يتم إلا بدراسة نصية مقارنة، ومتأنية، ولعل دراسة من هذا النوع تكشف عن مقومات وخصائص منهجية وتصورية، تجعل في "ظلال القرآن" تفسيرا متميزا عن التفاسير ذات الصبغة الأدبية، أو الاجتماعية، ويمكننا بعد قيامنا بدراسة مستفيضة لهذا التفسير أن نؤكد بأن له منهجًا خاصا، وتصورًا خاصًا يميزانه عما سواه، بل حتى الهدف من إعداده، وإخراجه

إلى الناس، هدف خاص ومتميز، فصاحبه قد أعده ليكون زادا للمسلم المعاصر ليتسلح به في معترك الحياة، وليحيا به حياة إسلامية، وليدفعه إلى الحركة والعمل والجهاد من أجل إقامة مجتمع مسلم. ومن ثم نرى أن يسمى هذا التفسير بإحدى التسميتين: تفسير حركي للقرآن الكريم، وتفسير داعية.

والنظر إلى تفسير سيد قطب من هذه الزاوية – أي على أنه تفسير حركي أو تفسير داعية – سيجعلنا ندرك الأسباب التي جعلته، لا نقول يتخفف من الالتزام الحرفي بمنهج أهل السنة في التفسير، ولكن لا يكرر ما يوجد في كل تفاسير القرآن الكريم – قديمها وحديثها– فهو لم يرد لتفسيره أن يكون اجترارًا لما سبق... ولم يرد أن يضيع طاقته ووقته في مواجهة عصره بكل تياراته الفكرية، واتجاهاته السياسية وخططه الاقتصادية، وأنماطه الحضارية، وإنما أراد أن يطلع الناس على ما يتضمنه القرآن الكريم من عقيدة توقظ الضمير، وتملأ القلب، وتحرك الجوارح، وتدفع إلى العمل والكفاح من أجل إثبات الذات، وتحقيق الكرامة الضائعة، وسحق المؤامرة، ودحر أعداء الإسلام في الداخل والخارج، ثم العمل على أن يعود الإسلام مرة ثانية لقيادة البشرية. فتفسير " في ظلال القرآن "، قد جاء استجابة لحاجة إيمانية وثقافية للمسلم المعاصر، ولذلك نجد سيد قطب في تفسيره هذا، يبعد عن الخوض في القضايا الفلسفية أو الكلامية، أو الرد على الشبهات، أو الجدل العقيم، ويوجه كل همه إلى عرض التصور الإسلامي بأسلوب جزل بسيط، وخال من كل تعقيد، وذلك حتى يكون لدى المسلم عقيدة صحيحة، وفهما سليما لمبادئ ومفاهيم الإسلام الأساسية، يشكلان في مجملهما حصانة ضد أي غزو ثقافي وتدفعانه بالتالي إلى تحقيق الإسلام جملة وتفصيلا في عالم الواقع، بقلب مؤمن، وجنان ثابت، وعزيمة قوية، وبحماسة، وصدق، وإخلاص..."[19].

---

19 http://www.tafsir.org/vb/archive/index.php?t-6231.html، انظر: دراسة الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي في موسوعته التفسيرية؛ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر منهج الأستاذ سيد قطب في تفسيره، لتقف على هذه الحقائق المذكورة آنفاً: ج3، ص: 998-1051، فقد رأيت الأستاذ الدكتور فهد الرومي منصفاً و موضوعياً في حق الأستاذ سيد قطب رحمه الله و جزاه الله خيراً. ولعل هذا يعود إلى بركة عمله في التفسير و جهود المفسرين في خدمة كتاب الله عز وجل. وكذا راجع للمزيد دراسة الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: **في ظلال القرآن في الميزان– دراسة وتقويم**، ص: 60-150.

ونضيف هنا ونقول بأن دراستنا أثبتت أن منهج الأستاذ سيد قطب في تفسيره هو عين منهج أهل السنة والجماعة، ولم يشذ عنهم، والله أعلم.

المطلب الثاني: أصالة المنهج الذي اتبعه الأستاذ الشهيد في تفسيره

علاوة على ما تقدم في تفنيد تلك الشبهات المثارة على الأستاذ سيد قطب ومنهجه في الدعوة والتفسير، فإنني أود أن أضيف وأن أؤكد؛ بأننا إذا أخذنا بعين الاعتبار الظروف السياسية والاجتماعية والأدبية التي أحاطت بعصر الأستاذ سيد قطب رحمه، فإننا حتماً سنفهم سر وحكمة منهج الأستاذ سيد قطب في تفسيره ودعوته إلى الله تعالى. لقد انطلق هذا المنهج في تفسيره خاصة وفي مؤلفاته عموماً من مبدأ التركيز على دعوة المسلمين إلى إصلاح العقيدة على حقيقة الألوهية والعبودية، ثم دعوتهم إلى إصلاح حياتهم ومعاشهم وفق منهج قرآني، وبيان منهج القرآن في القضاء على التصورات الغربية الجاهلية، ثم تصحيح مناهجهم الفكرية والنظرية ودعوتهم إلى منهج معرفي و تربوي.

هذا المنهج علاوة على ما ذكر؛ فقد ركز على دعوة الكافرين إلى الإسلام بعدة طرق؛ منها طريق النظر والتأمل في آيات الكون، والمجادلة بالتي هي أحسن، مع مراعاة أحوالهم وفقه واقعهم. هذا المنهج يفرض على الداعية أن يشرع أولاً بالدعوة إلى الله تعالى دون الدعوة إلى أسس قومية أو مبادئ أخلاقية أو ضوابط اجتماعية. وكشف هذا المنهج على جملة من الصفات والمكونات الفكرية والروحية والسلوكية، التي يجب أن يتحلى بها الداعية والمفسر في هذا العصر. لقد انفرد الأستاذ الشهيد بمنهجه الفريد والدقيق، ذي الأبعاد التربوية والدينية والتطبيقية؛ عن مناهج بقية الدعاة البارزين في الساحة الإسلامية. يبدو ذلك جليًا في مؤلفاته كلها، وخاصة في كتابه الأم: (في ظلال القرآن). وشاءت حكمة الله تعالى أن يكون جزاء هذا الفهم الدقيق والمنهج الفريد هو الاستشهاد في سبيل الله ليكون قدوة حسنة للمسلمين عامة وللدعاة خاصة إلى يوم القيامة.

لقد أبدى الأستاذ سيد قطب رحمه الله عصارة فكره وخلاصة تجربته في هذا الكتاب. ولقد نال هذا الكتاب بفضل الله عز وجل ثم بفضل إخلاص صاحبه، شهرة عظيمة، وتلقته الأمة بالقبول وأصبح له مكانة مرموقة وسامية لدى كافة الدعاة في العالم الإسلامي، بل وحتى غير الإسلامي. إن تفسير الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله: "في ظلال القرآن " يعتبر بحق من أهم التفاسير والمصادر في هذا العصر من حيث: الفهم العصري المنضبط للآيات، ومن حيث ربط أحداث الواقع ومستجدات الحياة بالنصوص القرآنية. كما يمتاز هذا التفسير من حيث المضمون والجوهر، حيث يكمن فيه السر الخفي العجيب، الجذاب والمؤثر، والطريقة المثلى في استنباط الدروس والعبر من الآيات القرآنية، لإرشاد المسلم والداعية في مواجهة تحديات العصر والمجتمع الذي يعيش فيه، ولعل هذا يعود إلى إخلاص وتفاني كاتبه رحمه الله، والله أعلم، مما لا يعني هذا في حال من الأحول الاستخفاف بالتفاسير الأخرى أو التقديس والعصمة والإطراء لشخص الأستاذ سيد قطب رحمه الله. فلا يتوهّمنّ متوهّم شيئاً من ذلك..لكل من التفاسير قيمتها وفضلها الخاصة بها، كما أن كل المفسرين يسبحون ضمن الإطار البشري؛ يصيبون و يخطئون، والله أعلم.

المبحث الثالث: آداب المفسر وشروطه والقواعد التي يجب اتباعها في تفسيره لكتاب الله

إن علم التفسير علم قابل للنمو، ذلك لأن العلوم أنواع؛ منها ما بلغ الغاية في النضج حتى أنه احترق، وهو علم النحو، ومنها علوم نضجت ولكنها لم تحترق، ومنها علوم مازالت في طريق النضج [20]. فمن أراد أن يفهم القرآن أو يفسره، فليُعِد له عدته وليتأهب له عقلياً وعلمياً ونفسياً، فإنما هو مخلوق يفسر كلام الخالق، وهو مخلوق يمثل ما في المخلوقات من قصور وعجز، ومحدود بحدود الزمان والمكان والإمكان، أمام الواحد القهار الذي لا يحد علمه ولا مشيئته ولا قدرته شئ [21].

لقد اشترط العلماء في المفسر الذي يريد تفسير القرآن الكريم بالرأي الجائز المحمود أن يكون ملماً بجملة من العلوم والثقافات والآداب والأدوات التي يستطيع بواسطتها أن يفسر القرآن الكريم تفسيراً صحيحاً، سليماً ومقبولا، واعتبروا هذه العلوم والأدوات بمثابة السياج والحصن الحصين التي تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ والزلل والقول على الله بغير علم.

إن الغرض الأساس والغاية الأسمى من تناولنا لهذه المسألة؛ هو تأصيل هذه المسألة تأصيلاً علمياً دقيقاً وبيان موقف العلماء والأئمة، من المعاصرين والقدامى ومدى التزامهم بهذه الشروط والأدوات في تفسيرهم لكتاب الله تعالى، لكي نرى بعد ذلك مدى توفر هذه الشروط والآداب والمؤهلات في شخصية الأستاذ سيد قطب التفسيرية رحمه الله، الذي هو موضوع الدراسة في هذه الورقة العلمية المختصرة.

20 الصباغ، لطفي؛ **بحوث منهجية في أصول التفسير**، المكتب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، ص: 12-13

21 القرضاوي، يوسف؛ **كيف نتعا مل مع القرآن العظيم**، در الشروق، ط1، القاهرة، ص: 20

المطلب الأول: ذكر أقوال السلف من أئمة التفسير

ومن الأئمة الأعلام الذين أصَّلوا و ناقشوا هذه المسألة العلمية؛ الإمام القرطبي[22] في مقدمة تفسيره، و الإمام الطبري في مقدمة تفسيره[23] ، والإمام بن كثير في مقدمة تفسيره [24]، والإمام أبو حيان في مقدمة تفسيره [25]، والإمام الزركشي في موسوعته (**البرهان في علوم القرآن**)[26]، والإمام بن تيمية في مقدمته لأصول التفسير، والإمام السيوطي رحمه الله في موسوعته القرآنية (**الإتقان في علوم القرآن**). وقد اخترت من بين هؤلاء الأئمة الأعلام الإمام السيوطي رحمه الله، نظراً لبسطه هذه الأمور بمنهجية علمية دقيقة. ونظراً لطول الموضوع وكثرته وتشعبه، فإنني سأكون مضطراً إلى اقتباس أهم الآداب والشروط التي ذكرها الإمام السيوطي وغيره من العلماء المحققين.

قال الإمام السيوطي: في معرفة شروط المفسر وآدابه [27].

" قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن، فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه...ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ومن عاصرهم ويتجنب المحدثات...ومن شروطه صحة المقصد فيما يقول ليلقي التسديد...وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به غرض يصده عن صواب قصده ويفسد عليه صحة عمله.

---

22 انظر: **الجامع لأحكام القرآن**، للإمام القرطبي، ج1، 20-30، (**المكتبة الالكترونية الشاملة**) 2006، المدينة المنورة

23 انظر: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، للإمام الطبري، ج1، ص: 20-23، 28-29

24 انظر: **تفسير القرآن العظيم**، للإمام بن كثير، ج1، ص: 63

25 انظر: **تفسير البحر المحيط**، للإمام أبي حيان الأندلسي، ج1، ص: 6-9

26 انظر: **البرهان في علوم القرآن**، للإمام الزركشي، ج1، ص: 449-452

27 **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، ص:437 - 445 (**المكتبة الالكترونية الشاملة**)- من توزيع مكتبة الحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة)، 2006 م.

وتمام هذه الشرائط أن يكون ممتلئاً من عدة الإعراب لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام...وقال ابن تيمية في كتاب ألفه في هذا النوع: يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه... ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً...والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد...وقال بعضهم: اختلف الناس في تفسير القرآن، هل يجوز لكل أحد الخوض فيه؟ فقال قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك. ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشر علماً. أحدها: اللغة؛ لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع...ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر. الثاني؛ النحو، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره. الثالث؛ التصريف، لأن به تعرف الأبنية والصيغ...الرابع؛ الاشتقاق، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمسيح، هل هو من السياحة أو المسح. الخامس والسادس، والسابع؛ المعاني والبيان والبديع، لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام، وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسر، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم. وقال السكاكي: اعلم أن شأن الإعجاز عجيب، يدرك ولا يمكن وصفه...وقال ابن الحديد: اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيق والأرشق من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق، ولا يمكن إقامة الدلالة عليه...الثامن؛ علم القراءات، لأنه به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض. التاسع؛ أصول الدين، بما في القرآن من الآية الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى. فالأصولي يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز...العاشر؛ أصول الفقه، إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

الحادي عشر؛ أسباب النزول والقصص، إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه. الثاني عشر؛ الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره، الثالث عشر؛ الفقه. الرابع عشر؛ الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم. الخامس عشر؛ علم الموهبة، وهوعلم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بحديث: (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم). قال ابن أبي الدنيا: وعلوم القرآن وما يستنبطه منه بحر لا ساحل له. قال: فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه. قال: والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب، واستفادوا العلوم الأخرى من النبي صلى الله عليه وسلم. قلت: ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد. قال في البرهان: اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو وهو مصر على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض. قلت: وفي هذا المعنى قوله تعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق)، قال سفيان بن عيينة: يقول أنزع عنهم فهم القرآن..." [28].

و بعد أن ذكر الإمام السيوطي رحمه الله هذه الشروط، ذكر أيضاً بعض القواعد المهمة التي يحتاج إليها المفسر، فمن جملة القواعد التي ذكرها: " معرفة محكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وعامه وخاصّه، ومجمله و مبينه، و ناسخه و منسوخه، ومطلقه ومقيده، ومنطوقه ومفهومه، وحقيقته ومجازه، وتشبيهاته و استعاراته، وكنايته وتوضيحه، والإيجاز والإطناب، والحصر و الاختصاص، والخبر والإنشاء، وفواصل الآي، وفواتح السور، و خواتم السور، وأمثال القرآن، وأقسام

28 انظر: **الإتقان في علوم القرآن**، بتصرف شديد، ج1، ص: 445

القرآن، ومناسبات الآيات والسور و إعجاز القرآن وغير ذلك من القواعد و الشروط و الآداب، فمن أراد التوسع ليرجع إلى موسوعته: الإتقان في علوم القرآن [29]. هذا باختصار فيما ذكره علماء السلف الصالح في هذه المسألة.

المطلب الثاني: ذكر أقوال الخلف من أئمة التفسير

ومن العلماء المعاصرين الذين أبدعوا وتميزوا في هذه المسألة؛ أي مسألة ذكر آداب وضوابط وشروط المفسر، نختار دراسة الشيخ العلامة عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني حفظه الله، في دراسته المستفيضة والدقيقة عن قواعد التدبر الأمثل للقرآن الكريم، حيث ذكر فضيلته أربعين قاعدة علمية يحتاج إليها المفسر لكتابه الله تعالى والمتدبر في آياته. ونظراً لكثرة هذه القواعد المدعمة بالأدلة في هذا السفر العظيم، فإننا نضطر إلى ذكر عناوين تلك القواعد فقط، دون ذكر الأمثلة التطبيقية التي ذكرها فضيلته. فمن هذه القواعد:1- ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة، 2-وارتباطها الموضوعي بما تفرق في القرآن ،3- وحدة موضوع السورة القرآنية، أوجه النص التي يهدف إليها،4- بيئة نزول النص البشرية و الزمانية و المكانية والنفسية و الفكرية الفردية و الاجتماعية، 5- التفسيرات الجزئية و المعني الكلي، 6- تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن و استبعاد التكرير لمجرد ما أمكن، 7- تتبع التفسير المأثور لمعنى النص،8 تكافؤ النصوص القرآنية ووجوب الجمع بينها في نسق فكري متكامل و عدم اللجوء إلى الحكم بالنسخ إلا فيما ثبت نسخه بدليل صحيح صريح،9- الحكمة من وضع آيات مدنية التنزيل في سورة مكية، 10-ووضع آيات مكية التنزيل في سورة مدنية، 11- النظر فيما ورد في أسباب النزول،12- لزوم فهم الآية وفق ترتيب نَظمِها، 13- القرآن لا اختلاف فيها و لا تناقض، 14- و أنه لا تناقض بينها و بين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائل الإنسانية، 15- اقتضاء النص و لوازمه و روابطه الفكرية و محاذيفه

29 المصدر السابق، ج1، ص: 214- 391، و انظر للتوسع والمزيد: مقدمة تفسير: **الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي**، ج1، 30-36؛ و **مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير**، ص:28-33

التي حذفت للإيجاز والتضمينات التي يضمها، 16- التكرير و أغراضه، 17- ضرورة البحث في معاني الكلمات القرآنية بحثاً علمياً لغوياً، 18-الربط بين الآيات وخواتيمها، 19-النظر في الألفاظ المتقاربة المعنى أو المترادفة،20- تردد النص بين دلالتين فأكثر، القَسَم في القرآن، 21-النظر في ملائمة الأسلوب البياني للهدف منه، البحث عن الوجوه البلاغية والغرض الفكري من الصور البلاغية، 22-الاستغناء في الأداء البياني بتعبيرات مختلفات موزعات على الأشباه والنظائر للدلالة على التكامل البياني فيما بينها، 23- التنويع في أساليب الأداء البياني،24- البحث عن أغراض الاختلاف في التعبير في مختلف النصوص،25- ضرورة ملاحظة قواعد اللغة العربية و مفاهيم الصيغ الصرفية و لزوم البحث عن سر مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر، 26- رعاية فواصل الآيات اهتماماً بالنسق اللفظي،27- استعمال الكلام أكثر من معنى، 28-التعليل بأنْ المصدرية و ما بعدها في الآيات القرآنية و لزوم تقدير المحذوفات قبلها،29- استعمال الفعل الماضي: فيما له الكينونة الدائمة وفيما حصل فعلاً، 30-وفيما هو مقضي مقدر، و فيما هو معلوم لله وقوعه في المستقبل، 31- النظر في توجيه الخطاب الرباني،32- كلمة (لعل) الواردة في القرآن،33- كلمة (بلى) في القرآن، 34- صيغة (وما أدراك) في القرآن، 35- تعدية فعل (أراد – يريد) في القرآن،36- تعبيرات (من بين يديه و من خلفه) و نحوهما، الأمام و الوراء، 37- إسناد الفعل إلى أو ما في معناه إلى فاعله و من قام به أو مسببه، أو الآمر به و الداعي له، أو المتهم به، أو الحاكم أو القاضي به،38- الاستثناء المنقطع، 39- لفظ (كذلك) في القرآن، 40-القراءات العشر. هذه هي عناوين تلك القواعد الأربعين التي ذكرها العلامة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة حفظه الله في كتابه المذكور. ولا شك أن هذه القواعد كما ذكر فضيلته استنبطها من التدبر الطويل في معاني الآيات القرآنية، وهي تصلح، بل ويجب أن تكون نبراساً يهتدي بها ويسير على هديها كل من نصب نفسه على منبر تفسير و بيان المراد من كتاب الله تعالى. فجزى الله عز وجل علماءنا وأئمتنا

السابقين ومشايخنا المعاصرين الذي لم يألو جهداً في توضيح وتسهيل السبل الموصلة إلى معرفة معاني كتاب الله عز وجل [30].

ومن القواعد التي يحتاج إليها المفسر أيضاً؛ معرفة الضمائر، التعريف والتنكير، الإفراد والجمع، السؤال والجواب، الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل، العطف، الفرق بين الإيتاء والإعطاء، لفظ كان، وكاد، وجعل، ولعل وعسى [31].

و نضيف هنا أيضاً و نقول؛ إن المفسر يحتاج أيضاً إلى معرفة بعض القواعد الأصولية التي وضعها الأصوليون و إلى القواعد الفقهية التي وضعها الفقهاء، ومن القواعد الفقهية التي ذكرتها مجلة الأحكام العدلية: الأمور بمقاصدها، اليقين لا يزول بالشك، الضرر لا يكون قديماً، الأصل براءة الذمة، لاضرر ولا ضرار، المشقة تجلب التيسير، الضرورات تبيح المحظورات..الخ. وقد ألفت في هذه القواعد كتب، مثل كتاب: الفروق، للإمام القرافي، والأشباه النظائر، للإمام السيوطي، والقواعد النورانية، للإمام ابن تيمية، ومجلة الأحكام العدلية في الدولة العثمانية..الخ [32].

وأما آداب المفسر الروحية والخلقية والنفسية، والتي أشار إلى بعض منها الإمام السيوطي والزركشي رحمهما الله، فقد ذكر العلماء أيضاً: صحة الاعتقاد والتجرد عن الهوى، حسن النية وصحة المقصد، حسن الخلق، الامتثال والعمل، تحري الصدق والضبط في النقل، التواضع ولين الجانب، عزة النفس، الجهر بالحق، الهيبة والوقار، الأناة والرويّة [33].

---

30 انظر: **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل – تأملات**؛ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، ط2، 1989، دمشق، سوريا، ص: 13-800 ؛ و انظر أيضاً: **مفاتيح تدبر القرآن و النجاح في الحياة**؛ د/ خالد بن عبد الكريم لاحم، ط1، 2004، الرياض

31 انظر: مناع القطان؛ **مباحث في علوم القرآن**، ص: 198-210؛ وانظر: محمد حسين الذهبي؛ **التفسير والمفسرون**، ج 1، ص: 229-234

32 الصباغ، لطفي: **مباحث في أصول التفسير والمنهجية**، 21-214

33 انظر: **مباحث في علوم القرآن**، 340-343، وقد ذكر العلماء بعض الخطوات العملية للتدبر بالقرآن الكريم، فقالوا يجب:

ونضيف في هذه المناسبة و نقول: إن المفسر في العصر الحديث بناء على قاعدة فقه الواقع وفقه النوازل، ونظراً للمستجدات العصرية الراهنة، يحتاج بالإضافة إلى ما تقدم ذكره آنفاً، أن يكون ملماً أيضاً ببعض العلوم الإنسانية الأخرى؛ مثل علم النفس و علم الاقتصاد و علم الهندسة الوراثية و علم الاستنساخ و علم الاجتماع (علم أحوال البشر)، و علم الطب وعلم الفلك و علم جيولوجيا (طبقات الأرض)، و علم بيولوجيا (علم الأحياء و الكائنات الحية)، وعلم الفيزياء النووية، و علم والكيمياء – بقسميه: العضوية و غير العضوية)، و علم الفلك و علم البحار، والاكتشافات العلمية والطبية و الفلكية الحديثة. كما ينبغي عليه أن يكون أيضاً مدركاً و فاهماً للسياسة العالمية الراهنة (ولا سيما سياسة أمريكا و أوربا)، و موقفها من مقدسات الإسلام والمسلمين. فإذا ما اكتملت تلك الشروط المذكورة السابقة وهذه التي ذكرتها لاحقاً في شخص المفسر المنشود في هذا العصر، فلا حرج بإذن الله أن يشرع هذا المفسر في تفسير وبيان كلام الله تعالى بالرأي الجائز المحمود.

" استحضار الجو الإيماني، الوقوف على كل آية والانفعال معها، تسجيل الخواطر لحظة ورودها، الاطلاع على تفسير مختصر لبيان كلمة غريبة ، محاولة تطبيق كل آية في كتاب الله ، واستخراج العبر والعظات من قصص السابقين، الحرص على حفظ الآيات في الصدر، الاطلاع على تفسير مطول، أن يخلص لله في قراءته ويستحضر عظمة الله تعالى، وأن يتنبه إلى أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن لا يطلب بالقرآن شرف المنزلة عند أبناء الدنيا، التوبة والابتعاد عن المعاصي؛ فهي تذهب بنور الإيمان في القلب والوجه وتوهن القلب وتمرضه، ومن أخطر المعاصي وأعظمها صدا عن التأثر بالقرآن وتدبره ، سماع الغناء والموسيقى وآلات الطرب واللهو التي تصد القلوب عن القرآن، أن يحضر القلب ويطرد حديث النفس أثناء التلاوة ويصون يديه عن العبث وعينيه عن تفريق نظرهما من غير حاجة، أن يستشعر القارئ بأن كل خطاب في القرآن موجه إليه شخصيا، التأثر، فعند الوعيد يتضاءل خيفة، وعند الوعد يستبشر فرحا، وعند ذكر الله وصفاته وأسماءه يتطأطأ خضوعا، وعند ذكر الكفار وقلة أدبهم يخفض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم، ويشتاق للجنة عند وصفها، ويرتعد من النار عند ذكرها، يتحاشى النظر إلى نفسه بعين الرضا والتزكية، تحاشي موانع الفهم؛ مثل أن يصرف همه كله إلى تجويد الحروف وغير ذلك، اختيار الوقت المناسب والذي يتجلى الله فيه على عباده وتتنزل فيه فيوضات رحمته، وأفضل القراءة ما كان في الصلاة، وأما القراءة في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل والنصف الأخير من الليل أفضل من الأول، وأما قراءة النهار فأفضلها بعد صلاة الفجر، ترديد الآية للتدبر والتأثر بها، البكاء أثناء التلاوة وبخاصة عند قراءة آيات العذاب أو المرور بمشاهده وذلك عندما يستحضر مشاهد القيامة وأحداث الآخرة ومظاهر الهول يوم القيامة . انظر للتفاصيل: http://gesah.net/quran

ونختم كلامنا في هذا الموضوع بذكر بعض المبادئ والضوابط التي ذكرها فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله، حيث قال إننا بحاجة إلى تفسير: "...يتجنب الجدل الفلسفي والمماحكات الكلامية، والابتعاد عن الأمور الافتراضية التي أولع بها بعض الفقهاء، مراعاة موضوع الهداية والعقيدة، والابتعاد عن المصطلحات النحوية والبلاغية إلا للضرورة. لا مانع من الاستفادة من العلوم الحديثة وما توصلت إليه الحقائق القطعية. ربط الآيات بعضها ببعض في السورة الواحدة لأن لكل سورة موضوعاً رئيسياً، والأسوة في ذلك (الأستاذ سيد قطب)، كما أننا بحاجة إلى الجمع بين الرواية والدراية، و صحيح المنقول وصريح المعقول، تراث السلف ومعارف الخلف، تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بصحيح السنة، الانتفاع بتفسير الصحابة والتابعين، الأخذ بمطلق اللغة، مراعاة السياق، ملاحظة أسباب النزول، اعتبار القرآن أصلاً متبوعاً. وينبغي مراعاة الكلمة في عصر نزول القرآن، والعبرة بما تدل عليه الألفاظ في ذلك العصر، فكثيراً ما تتطور الدلالات ولألفاظ بتطور العصور وتطور المعارف واتصال الشعوب والحضارات. رعاية المخصصات والمقيدات، تتبع مورد الكلمة في القرآن. كما تجدر الإشارة إلى المفسر أن القرآن الكريم يجب أن يكون متبوعاً لا تابعاً. فعلى المفسر أن يتجرد من اعتقاداته السابقة فلا يحمل الآيات على ما وردت من القصص في التوراة والإنجيل. والسنة النبوية الصحيحة يجب أن تكون فوق كل شيء. فلا يكون الحديث الصحيح حنفياً ولا شافعياً ولا مالكياً وحنبلياً، فهو فوق المذاهب كلها. ولا يجوز أن يكون القرآن معتزلياً ولا أشعرياً ولا أرسطياً ولا أفلاطونياً ولا فارابياً ولا إسماعيلياً ولا قاديانياً، ولا أن يكون جنيدياً ولا قشيرياً ولا تقشبنديًا. بل يجب أن يكون فوق الجميع ومرجع الجميع وحاكم الجميع. وسوء التأويل للآيات يأتي إما بسبب قصور في العلم والفكر وإما فساد في النية والقصد.. [34]. ومن المزالق التي يجب أن يحذر منها المفسر في الفهم والتفسير: اتباع المتشابهات وترك المحكمات، سؤ التأويل، وضع النص في

34 انظر: القرضاوي، يوسف: **كيف نتعامل مع القرآن العظيم** بتصرف شديد، ص: 200، 237-258-268

غير موضعه، دعوة النسخ بلا برهان، الجهل بالسنن والآثار، الثقة بالإسرائيليات، الشرود عن إجماع الأمة، ضعف التكوين العلمي واتباع المتشابهات [35].

جعلنا الله ممن يرعاه حق رعايته، ويتدبر القرآن حق تدبره، ويقوم بقسطه، ويفى بشرطه، ولا يلتمس الهدى في غيره، وهدانا لأعلامه الظاهره، وأحكامه القاطعة الباهرة، وجمع لنا به خير الدنيا والآخرة، فانه أهل التقوى وأهل المغفرة.

35 المرجع السابق، ص: 260 بتصرف شديد

المبحث الرابع: الأسس والركائز الفكرية والثقافية العامة – تأصيل قواعد تفسيرية (الجانب النظري)

لقد مر الأستاذ الشهيد رحمه الله بمراحل فكرية عديدة، وحدث في حياته ودعوته وكتاباته نقلة نوعية كبيرة وعجيبة. وبمعرفتنا لهذه المراحل يتضح لنا، أن عودة الأستاذ سيد قطب إلى الإسلام من جديد كان ذلك اصطفاء وهداية من الله تبارك وتعالى له. وهذه النقلة الكبيرة ينبغي أن لا تكون ذريعة للحط والنيل من قدره بسبب المراحل الفكرية التي مر بها الأستاذ الشهيد، إنما العبرة بالخواتيم.

المطلب الأول: سمات وملامح هذا المفسر في تفسيره

ومن الركائز الروحية والنفسية والثقافية التي كان يتمتع بها الأستاذ سيد قطب، أنك تجد في تفسيره:

- الواقعية والجدية في البحث.
- المنهجية السلفية.
- بيان دور الإنسان ومركزه.
- الإلمام بالملابسات التاريخية لنزول القرآن.
- بيان تعامل الصحابة مع القرآن.
- تصويبات في الفكر الإسلامي المعاصر وتحليل حاضر العالم الإسلامي.
- التأكيد على قضايا الدعوة والحركة في مواجهة المادية الجاهلية.
- التأكيد على إبراز التصوير الفني من الآيات القرآنية، الذي هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فالقرآن يعبر عنه بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية...فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحال النفسية لوحة أو مشهد، إذا النموذج الإنساني شاخص

حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية.. وكذلك الحوادث والقصص والمشاهد والمناظر يصورها شاخصة حاضرة .. [36].

- ❖ الإكثار في آيات العقيدة من الإشراقات واللمحات والنتائج والأحكام والتحليلات..[37].
- ❖ التأكيد على حقائق العقيدة الإسلامية وجعلها الركيزة والأساس لكل شيء.
- ❖ التكرار والتأكيد على قضية الحاكمية والألوهية لله تعالى حتى تستقر في قلوب الناس، وأنها إن صلحت صلح معها كل شيء، وإذا فسدت فسد معها كل شيئ [38] .

المطلب الثاني: الطريقة التي سار عليها في تفسيره للقرآن الكريم

من خلال مطالعة الباحث ودراسته لشخصية هذا المفسر الجليل في تفسيره، ومطالعة بعض الذين كتبوا وأرخوا عن منهجه؛ أقول يمكن استخلاص هذه المنهجية وهذه المبادئ، التي سلكها سيد قطب في تفسيره لكلام الله تعالى. فهو رحمه الله تعالى يورد الآية أو الآيات ثم يقوم ببيان أغراضها وأهدافها والوحدة الموضوعية للسورة وشخصيتها، ثم يشرحها شرحاً وافياً وكافياً، مستنبطاً منها الدروس والعبر[39]. يذكر سبب نزول الآية إن وجد. يستشهد بالأحاديث النبوية ويحرص على الروايات الصحيحة. يورد اختلاف العلماء حول مفهوم الآية ولكن دون إسهاب وإطناب، ويضرب صفحاً عن المباحث اللغوية مكتفياً بالإشارة العابرة، ويتجه إلى إيقاظ الوعي وتصحيح المفاهيم وربط الإسلام بالحياة [40]. يورد أقوال الفلاسفة ويناقش آراءهم بالحجج العقلية ويدحض شبهاتهم ويبين بطلان منهجهم في مسائل العقيدة والتوحيد. يتعرض إلى ذكر وتحليل النظم الاجتماعية والوضعية

36 انظر: **التصوير الفني في القرآن**، 30-50، و راجع أيضاً: **في ظلال القرآن في الميزان**، ص : 305-400

37 انظر: **مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن**، ص :267

38 انظر: قطب، سيد، **مقومات التصور الإسلامي**، فصل: (ألوهية وعبودية) ،ص:41 ، وفصل : (حقيقة الألوهية)، ص:81 .

39 الأستاذ الدكتور عدنان محمد زرزور حفظه الله، نسب إليه فضل إبراز الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية المفردة طالت أم قصرت، إذ أنه أول واحد من تطرق إلى هذا المبدأ ..انظر: **مدخل إلى التفسير وعلومه**، ص : 267

40 القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن** ص : 334

مثل؛ الشيوعية والديمقراطية والرأسمالية والماركسية والعلمانية والإلحادية، وذلك لبيان بطلان تلك المناهج الوضعية. يتطرق إلى تحليل سياسي واجتماعي لمواقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع المشركين واليهود وأسباب الهجرة. لا يبالي باستعمال الألفاظ الشنيعة للكفار والمنافقين، مثل (الجاهلية) و(المطموسين) [41]، و(المنتكسين)..الخ ليس من منهجه ذكر الإسرائيليات في تفسيره لعدم ورود روايات صحيحة في ذلك، ولكن مع هذا التحرز الشديد وجد أحياناً أنه يذكر ذلك..[42]. اهتم بالجانب البلاغي والتناسق البياني وإبراز الجمال الفني للآيات[43]. ينقل من المفسرين القدامى ويكثر من ابن كثير والطبري، ولكنه لم يتأثر بهم على الإطلاق في أي لون من ألوان التفسير أو التأويل [44]. أحياناً يجتهد و يأخذ بظواهر النص و لا يحمّل النص ما لا يحتمل، ،كما يظهر ذلك جلياً في تفسيره لآية الصوم [45]. رأيته معتدلاً في تفسيره، لا ينحو منحى المتشددين والمتعصبين، كما أنه لا يسلك مسلك المتساهلين المستخفين بأحكام الله وشريعته. يرجح بين الأقوال والآراء الفقهية، ويختار الرأي الذي يعززه الدليل الصحيح، كما في مسألة الموالاة والتتابع في الصوم [46]. يتطرق إلى العلوم الحديثة مثل الطب والفلك والفيزياء والكيمياء، ولكنه كان متحفظاً جداً من التفسير العلمي للقرآن الكريم، ونسبة ذلك إلى الإعجاز العلمي، لأن كثيراً من المسائل العلمية مبنية على الظنون والفرضيات والنظريات، وهو كل يوم في شأن وتغير، وأنها غير مستقرة ومعرضة للتبديل، بينما الآيات القرآنية مبنية على الحقائق، التي لا تتبدل ولا تتغير، وليس الأمر كما زعم البعض من

41 انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج 1، ص : 45 .

42 انظر: المصدر السابق

43 انظر: مسلم آل جعفر، و محي هلال السرحان، **مناهج المفسرين** ، دار المعرفة ، ط 1 1980، ص : 268، و راجع **في ظلال القرآن** ، ج 6، ص: 3404 -3405 .

44 **مدخل إلى التفسير و علومه**، ص : 269 .

45 انظر: **في ظلال القرآن**، ج 6 3598 - 3599 .

46 انظر : **المصدر السابق**، ج 6 - 3560 .

أن الأستاذ سيد قطب لا يقبل أو يرفض التفسير العلمي للآيات جملة وتفصيلاً [47]. وفي مسائل العقيدة؛ الأسماء والصفات، يثبت الصفات الواردة لله تعالى في القرآن مثل الحياة والقوامة أو القيومية وغيرها من الصفات، وأنه ينهج منهج السلف الصالح في تفسيرها، وقد صرح هو رحمه الله غير مرة بذلك في تفسيره [48]. كما كان من منهجه؛ التمييز بين القرآن المكي والمدني، وأن لكل منهما موضوعاتها الخاصة بها..[49] .

المطلب الثالث: تأصيل قواعد علمية وثوابت منهجية في التفسير

إن الأستاذ سيد قطب رحمه الله، بناء على المؤهلات العلمية التي كان يحملها ويتمتع بها، قد قعّد قواعد وأصّل أسساً وثوابت تفسيرية، ووظفها حق التوظيف في بيان ثراء النص القرآني وإبراز معانيه ودلالاته اللغوية. فمن جملة هذه الأسس والقواعد التي استخدمها وسار عليها في تفسيره نذكر ما يلي:

- ❖ الأسلوب الأدبي.
- ❖ تذوق النص القرآني.
- ❖ الواقعية والحركية.
- ❖ التفسير الجمالي الفني.

---

47 انظر: **المصدر السابق**، ج 3، ص: 1216 - 1217، وانظر المصدر السابق : ج6، ص: 3713-3714

48 انظر : **في ظلال القرآن في الميزان**، ص :316 .

49 و لمعرفة المزيد و التفاصيل يراجع هذه المراجع: **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، لفهد بن عبد الرحمن بن السليمان الرومي، ج 3 999 ؛ **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، صلاح عبد الفتاح الخالدي؛ **في ظلال القرآن في الميزان**، فصل :**سمات الظلال**، ص:305 400؛ **سيد قطب خلاصة حياته** ..محمد توفيق بركات، ص :19؛ **مباحث في علوم القرآن**، مناع القطان، ص :334؛ **مدخل إلى التفسير و علومه**، محمد عدنان زرزور، ص :260 – 270؛ **مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة**، د.خالد بن عبد الكريم اللاحم، ط1، 2004، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص: 14-70؛ **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط2، 1989، دارالقلم –دمشق، ص: 13-234

- ❖ الوحدة الموضوعية.
- ❖ استيحاء النص دن مقررات سابقة.
- ❖ ترك الإطناب عما أبهم في القرآن.
- ❖ التحذير من الإسرائيليات.
- ❖ ترك الاختلافات الفقهية.
- ❖ واجتناب الإغراق في المسائل اللغوية وتفاعله مع النص القرآني ...[50].
- ❖ القدرة على تناول الآيات من الجوانب المختلفة، بحيث لم يكن أسيراً لغيره من المفسرين القدامى أو المحدثين.
- ❖ الثقة بالنفس وعدم الاضطراب فيما يذهب إليه من الآراء ويتبنى من الأفكار.
- ❖ تأثره الكبير بالمنهج القرآني وتركيزه على الأولويات والأسس التي قام عليها المنهج القرآني في الدعوة إلى الله تعالى.
- ❖ ربط الآيات بالسيرة النبوية وأحداثها التاريخية، سواء ما تعلق منها بالعهود والمواثيق التي كانت بين المسلمين واليهود أو النصارى..أو ما تعلق منها بدعوة الملوك والأمراء إلى الإسلام عن طريق الرسائل والسفراء.
- ❖ تزوده برصيد ضخم من المشاعر والمدركات والتجارب، واستصحابه لها وهو ينظر في نصوص القرآن ويتلقى إيحاءاته...
- ❖ ذهابه بخياله ومشاعره وأحاسيسه إلى الجو الذي تنزل فيه القرآن في مكة والمدينة، لإدراك أثر القرآن وتأثيره هناك..[51].
- ❖ ملاحظته حركة الصحابة في جو مكة والمدينة بالقرآن، وتفاعلهم معه ..." [52].

---

50 يراجع بتوسع :فهد، الرومي، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، ج 3، ص: 999-1000 فما بعد..

51 الخالدي, صلاح عبد الفتاح، **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، ص :59 .

52 المرجع السابق، ص :59 .

- وقوفه على الأغراض الأساسية للقرآن، ومنهجه الواقعي الحركي الذي به حياة الأمة المسلمة وتنزيله نصوص القرآن على واقع جدي حي.. [53].
- قيامه بدور عملي جهادي وتجربة حية دعوية، مشابهة في بعض مظاهرها تجربة الصحابة الكرام – و بخاصة في جو مكة و الحركة العملية بالقرآن... ليجد عنده الجواب الواضح والبلسم الشافي .. [54].
- إدراكه وفهمه لشمولية الرسالة الإسلامية في كافة الجوانب البشرية و حاجة البشرية والقلوب إلى الله تبارك و تعالى، و النظرة التكاملية في آيات القرآن الكريم.
- فهمه الدقيق لعظمة وطبيعة المنهج الرباني.
- يقينه الجازم والحاسم، من أن البشرية كافة متجهة إلى الهاوية والجحيم، إذا هي لم تلتزم بشريعة الله عز وجل، وأنه لن يصلح آخر أمرها إلا بما صلح به أولها.
- الشجاعة النادرة والإيمان الكبير الذي كان يحيا و يتحلى بهما صاحبه، مما جعله لا يقيم وزناً لهذه الحياة الدنيا، وأنها بدت أمام عينيه صغيرة و حقيرة، فلأجل ذلك لم يكن يخش من أحد سوى الله عز و جل..وهذا واضح في كتاباته و منهجه.
- تحليله لواقع سياسي محلي وعالمي، وربطه بالقرآن الكريم وعرضه على ميزانه.
- معايشته للظروف السياسية الراهنة والمتكالبة على العالم الإسلامي، والحالة الدينية والاجتماعية والاقتصادية المتدهورة للأمة الإسلامية.
- محاربته للقوانين الوضعية البشرية، مثل الشيوعية والديمقراطية والماركسية والاشتراكية والرأسمالية والعلمانية والإلحادية.
- التأكيد على تأثيرات الكنيسة السلبية وجهود المنصرين على الأمة الإسلامية.
- بيان لخطط وأساليب الصهاينة من اليهود والنصارى الصليبيين.

53 **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، ص :59 .

54 المرجع السابق، ص :59

المبحث الخامس: من نتائج وثمار تلك الأسس الفكرية، ونماذج من تفسير الأستاذ سيد قطب (الجانب التطبيقي)

المطلب الأول: نتائج وثمار تلك الأسس الفكرية والقواعد المنهجية

أقول: تظهر هذه الأسس و الركائز في فكره وثقافته بشكل واضح، في معالجة الأستاذ سيد قطب طبيعة وسر القرآن المكي، والحِكم التي تكمن وراء هذه الفترة الطويلة من النزول، و التأمل فيما سماه الأستاذ: بـ: ظاهرة القرآن المكي، و تقرير العقيدة و عدم تجاوزها إلى الأمور الثانوية و الفرعية. قال رحمه الله: " .. وأصحاب الدعوة إلى دين الله، وإلى إقامة النظام الذي يتمثل فيه هذا الدين في واقع الحياة، خليقون أن يقفوا طويلاً أمام هذه الظاهرة الكبيرة، ظاهرة تصدي القرآن المكي خلال ثلاثة عشر عاماً لتقرير هذه العقيدة ثم وقوفه عندها لا يتجاوزها إلى شئ من تفصيلات النظام الذي يقوم عليها، والتشريعات التي تحكم المجتمع المسلم الذي يعتنقها ..." [55].

ومن ثمار تلك الأسس وقوفه طويلاً في مسألة العمل مع الإيمان، التي هي الأساس في حياة الإنسان، وأن الأمر لم يعد مجرد مشاعر أو كلام. يقول رحمه الله: ".. وحيثما ذكر الإيمان في القرآن أو ذكر المؤمنون، ذكر العمل الذي هو الترجمة الواقعية للإيمان، فليس الأمر مجرد مشاعر، وإنما هو مشاعر تفرغ في حركة لإنشاء واقع وفق التصميم الإسلامي للحياة، أو وفق التصور الإسلامي للحياة.." [56].

و من ثمار تلك القواعد أنه بين أهمية ترسيخ العقيدة والإيمان بالله في قلوب الناس قبل أي شيء آخر، فيقول رحمه الله: "..إن القيمة الكبرى في ميزان الله هي قيمة العقيدة، وأن السلعة الرائجة

55 قطب سيد، **معالم في الطريق**: ص : 21-22 .

56 قطب، سيد، **خصائص التصور الإسلامي**، ص : 182-183 .

في سوق الله هي سلعة الإيمان، وأن النصر في أرفع صوره هو انتصار الروح على المادة، وانتصار العقيدة على الألم وانتصار الإيمان على الفتنة.." [57]، " و " ..إن القرآن لم يقض ثلاثة عشر عاماً كاملة في بناء العقيدة بسبب أنه كان ينزل للمرة الأولى ...كلا ! فلو أراد الله لأنزل هذا القرآن جملة واحدة، ثم ترك أصحابه يدرسونه ثلاثة عشر عاماً أو أكثر أو أقل حتى يستوعبوا " النظرية الإسلامية"، "..ولكن الله سبحانه كان يريد أمراً آخر، كان يريد منهجاً معيناً متفرداً، كان يريد بناء الجماعة و بناء الحركة... كان يريد أن تكون العقيدة هي واقع الجماعة الفعلي؛ هو صورة العقيدة، وكان الله سبحانه يعلم أن بناء النفوس والجماعات لا يتم بين يوم وليلة، فلم يكن بد أن يستغرق بناء العقيدة المدى الذي يستغرقه بناء النفوس و الجماعة ..." [58] .

ومن الأمور الأساسية التي كان يطيل التأمل و التدبر في تفسيره لآيات الله تعالى ولا يتجاوز إلى قضايا أخرى فرعية، أنه رحمه الله كان لا يرى فصل الدين عن الدنيا، لأن طبيعة المنهج الإلهي لا يقتضي حصر الدين في الشعائر التعبدية فقط فيقول رحمه الله: " ... ليس من طبيعة هذا الدين أن ينفصل عن الدنيا، وليس من طبيعة المنهج الإلهي أن ينحصر في المشاعر الوجدانية والأخلاقيات التهذيبية والشعائر التعبدية أو في ركن ضيق من أركان الحياة البشرية... ركن ما يسمونه :الأحوال الشخصية ...".

ومن القضايا الأساسية و الأولويات أنه رحمه الله كان يرى الأولوية لدين الله في كل شئ، وأن دين الله لا يمكن أن يكون محكوماً أو مقوداً، وإنما يجب عليه أن يكون دائماً حاكماً أو قائداً أو مهيمناً فيقول رحمه الله: "كلا إن "دين الله" لا يرضى إلا أن يكون سيداً مهيمناً، قوياً متصرفاً، عزيزاً كريماً، حاكماً لا محكوماً، قائداً لا مقوداً .." [59].

---

57 قطب، سيد، **معالم في الطريق**، ص :170-171 .

58قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج 7، ص :89-90 ، **ومعالم في الطريق** :ص :38-39

59 قطب، سيد، **المستقبل لهذا الدين**، الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، 1988- مطبعة الفيصل، ص: 93، و يراجع بتوسع فصل :الألوهية والعبودية في: **مقومات التصور الإسلامي**، ص :84-107-109-132-134 .

ذكرنا أنه رحمه الله قام بدور عملي جهادي وتجربة حية دعوية، مشابهة في بعض مظاهرها تجربة الصحابة الكرام – وبخاصة في جو مكة والحركة العملية بالقرآن... ليجد عنده الجواب الواضح والبلسم الشافي. ومن ثمرة هذا الأساس اليقين و الثبات و الصمود..قال رحمه الله: "... ولا يجوز أن يتطرق إلى قلوبنا الشك بسبب ما نراه من حولنا من الضربات الوحشية التي تكال لطلائع البعث الإسلامي في كل مكان، ولا بسبب ما نراه من ضخامة الأسس التي تقوم عليها الحضارة المادية...إن الذي يفصل في الأمر ليس هو ضخامة الباطل، وليس هو قوة الضربات التي تكال للإسلام ... إنما الذي يفصل في الأمر هو قوة الحق ومدى الصمود للضربات .."[60]. لقد استمد الأستاذ سيد قطب هذا اليقين من طول صحبته للقرآن: "..وهذا يقين نستمده من طول الصحبة لهذا القرآن وطول الصحبة كذلك للمحاولات البشرية في البيان. وطول المزاولة الشخصية للكتابة فترة من العمر طويلة .."[61].

أما السر الأعظم الذي توصل إليه الأستاذ سيد قطب لتفسير القرآن الكريم تفسيراً دعوياً حركياً..أنه رحمه الله تنبه إلى منهج الصحابة في قراءتهم وتدبرهم لكتاب الله، وكيفية تفاعلهم معه، وتفسيرهم للقرآن الكريم؛ هو أنهم كانوا يقرؤون القرآن بقصد التلقي والتنفيذ، وليس بقصد المتاع والقراءة المجردة، فيقول رحمه الله : " إن منهج التلقي للتنفيذ والعمل هو الذي صنع الجيل الأول. ومنهج التلقي للدراسة والمتاع هو الذي خرّج الأجيال التي تليه .." [62] .

ومن نتائج تلك الأسس والثوابت إدراكه وفهمه لشمولية الرسالة الإسلامية في كافة الجوانب البشرية والنظرة التكاملية في آيات القرآن الكريم. قال رحمه الله: ".. منهج حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها... منهج يشمل التصور الإعتقادي الذي يفسر طبيعة الوجود، ويحدد مكان الإنسان

60 قطب، سيد، **المستقبل لهذا الدين**، ص :116-117، وانظر :**خصائص التصور الإسلامي**، فصل : الثبات ،ص :87

61 قطب، سيد، **مقومات التصور الإسلامي** (القسم الثاني)، ص :24-25، بيروت، دار الشروق، ط 4 1993، وانظر: **خصائص التصور الإسلامي** للمؤلف، بيروت، دار الشروق، ط-8 1983، ص:10

62 قطب، سيد، **معالم في الطريق**:ص-19

في هذا الوجود، كما يحدد غاية وجوده الإنساني...ويشمل النظم والتنظيمات...كالنظام الأخلاقي والأسس التي يقوم عليها، والسلطة التي يستمد منها، والنظام السياسي وشكله وخصائصه، والنظام الاجتماعي وأسسه ومقوماته، والنظام الاقتصادي وفلسفته وتشكيلاته، والنظام الدولي وعلاقته وارتباطاته..." [63].

ومن نتائج تلك الثوابت إدراك حاجة البشرية إلى العقيدة وإلى الإيمان بالله تعالى، حيث عبر ".. إنها جوعة من نوع آخر، جوعة إلى الإيمان بقوة أكبر من البشر، وعالم أكبر من المحسوس ومجال من الحياة الدنيا، وجوعة إلى الوئام بين ضمير الإنسان وواقعه، بين البشرية التي تحكم ضميره والشريعة التي تحكم حياته، بين منهج حركته الذاتية ومنهج الحركة الكونية من حوله. جوعة إلى " اله " واحد يتلقى منه شريعة قلبه وشريعة مجتمعه على السواء ... " [64]. والسبب لهذه الحاجة هو أن: "...قاعدة المنهج الرباني الصادر عن علم (بدل الجهل)، و كمال (بدل النقص)، وقدرة (بدل الضعف)، و حكمة (بدل الهوى) ، القائم على أساس: إخراج البشر من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده دون سواه.." [65].

63 قطب، سيد، **المستقبل لهذا الدين**، ص-3 .

64 المصدر السابق :68-69 ، وانظر فصل : (ألوهية و عبودية)، في **مقومات التصور الإسلامي**، ص :101، وانظر: قطب، سيد، **نحو مجتمع إسلامي**، ص29 .

65 المصدر السابق:ص- 8، ويراجع فصل :الربانية، في كتاب :**خصائص التصور الإسلامي و مقوماته** للمؤلف ،ص 43 ، وانظر المقدمة في :**نحو مجتمع إسلامي** ،ص :5-13، و يراجع بتوسع فصل : تيه وركام، في :**خصائص التصور الإسلامي**، ص :22 .

المطلب الثاني: نماذج من تفسير الأستاذ سيد قطب

1- اهتمام سيد قطب بالعلوم المختلفة المساعدة لفهم القرآن

يقول رحمه الله في تفسيره لقول تعالى: **(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...)** [البقرة 102]

" وبعد فلا بد من كلمة هنا عن السحر، وعما يفرق بين المرء وزوجه، مما كان أولئك اليهود يجرون خلفه، ويتركون كتاب الله وراء ظهورهم من أجله. إنه ما يزال مشاهداً في كل وقت أن بعض الناس يملكون خصائص لم يكشف العلم عن كنهها بعد. لقد سمي بعضها بأسماء ولكنه لم يحدد كنهها ولا طرائقها!..هذا « التيليباثي » – التخاطر عن بعد – ما هو؟ وكيف يتم؟ كيف يملك إنسان أن يدعو إنساناً على أبعاد وفواصل لا يصل إليها صوت الإنسان في العادة ولا بصره، فيتلقى عنه، دون أن تقف بينهما الفواصل والأبعاد؟ وهذا التنويم المغنطيسي ما هو وكيف يتم؟ كيف يقع أن تسيطر إرادة على إرادة، وأن يتصل فكر بفكر، فإذا أحدهما يوحي إلى الآخر، وإذا أحدهما يتلقى عن الآخر، كأنما يقرأ من كتاب مفتوح؟ إن كل ما استطاع العلم أن يقوله إلى اليوم في هذه القوى التي اعترف بها، هو أن أعطاها أسماء! ولكنه لم يقل قط: ما هي؟ ولم يقل قط كيف تتم؟... وليس معنى هذا هو التسليم بكل خرافة، والجري وراء كل أسطورة.. إنما الأسلم والأحوط أن يقف العقل الإنساني أمام هذه المجاهيل موقفاً مرناً .. لا ينفي على الإطلاق ولا يثبت على الإطلاق... السحر من قبيل هذه الأمور. وتعليم الشياطين للناس من قبيل هذه الأمور. وقد تكون صورة من صوره: القدرة على الإيحاء والتأثير، إما في الحواس والأفكار، وإما في الأشياء والأجسام .." [66] .

66 **في ظلال القرآن**: ج1، ص 90-97

2- التفسير الحركي عند الأستاذ سيد قطب

قال في تفسير قوله تعالى:(**وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا... وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**) الأنفال: 72 -73

قال رحمه الله: " وهذا الحكم منطقي ومفهوم مع طبيعة هذا الدين التي أسلفنا- ومع منهجه الحركي والواقعي. فهؤلاء الأفراد ليسوا أعضاء في المجتمع المسلم، ومن ثم لا تكون بينهم وبينه ولايه.. ولكن هناك رابطة العقيدة، وهذه لا ترتب- وحدها- على المجتمع المسلم تبعات تجاه هؤلاء الأفراد.. هذه الجاهلية التي واجهها كل رسول بالدعوة إلى الإسلام لله وحده. والتي واجهها رسول الله – صلى الله عليه وسلم — بدعوته..هذه الجاهلية لم تكن متمثلة في « نظرية » مجردة. بل ربما أحياناً لم تكن لها « نظرية » على الإطلاق! إنما كانت متمثلة دائماً في تجمع حركي. متمثلة في مجتمع، خاضع لقيادة هذا المجتمع، وخاضع لتصوراته وقيمه ومفاهيمه ومشاعره وتقاليده وعاداته، وهو مجتمع عضوي بين أفراده ذلك التفاعل والتكامل والتناسق والولاء والتعاون العضوي..ومن أجل أن الجاهلية لا تتمثل في « نظرية » مجردة، ولكن تتمثل في تجمع حركي على هذا النحو؛ فإن محاولة إلغاء هذه الجاهلية، ورد الناس إلى الله مرة أخرى ، لا يجوز – ولا يجدي شيئاً – أن تتمثل في « نظرية » مجردة. فإنها حينئذ لا تكون مكافئة للجاهلية القائمة فعلاً والمتمثلة في تجمع حركي عضوي، فضلاً على أن تكون متفوقة عليها كما هو المطلوب في حالة محاولة إلغاء وجود قائم بالفعل، لإقامة وجود آخر يخالفه مخالفة أساسية في طبيعته وفي منهجه وفي كلياته وجزئياته. بل لا بد لهذه المحاولة الجديدة أن تتمثل في تجمع عضوي حركي أقوى في قواعده النظرية والتنظيمية، وفي روابطه وعلاقاته ووشائجه من ذلك التجمع الجاهلي القائم فعلاً.." [67].

67 **في ظلال القرآن**: ج3، ص: 447

3- اهتمام الأستاذ سيد قطب بالطب

في صدد تفسيره لقوله تعالى في سورة الأحقاف: (**حملته أمه كُرهاً ووضعته كُرهاً وحمَلُهُ وفصالُهُ ثلاثون شهراً**):

".. ويقدم علم الأجنة فإذا به يكشف لنا في عملية الحمل عن جسامة التضحية ونبلها في صورة حسية مؤثرة. إن البويضة بمجرد تلقيحها بالخلية المنوية تسعى للإلتصاق بجدار الرحم وهي مزودة بخاصية أكالة، تمزق جار الرحم الذي تلتصق به وتأكله فيتوارد دم الأم إلى موضعها، حيث تسبح هذه البويضة الملقحة دائماً في بُرْكَةٍ من دم الأم الغني بكل ما في جسمها من خلاصات، وتمتصه لتحيى به وتنمو، وهي دائمة الأكلان لجدار الرحم، ودائمة الامتصاص لمادة الحياة، والأم المسكينة تأكل وتشرب وتهضم وتمتص، لتصب هذا كله دماً نقياً غنياً لهذه البويضة الشرهة النهمة الأكول! ...ثم الوضع، وهو عملية شاقة، ممزقة، ولكن آلامها الهائلة كلها لا تقف في وجه الفطرة ولا تنسى الأم حلاوة الثمرة، ثمرة التلبية للفطرة، ومنح الحياة نبتة جديدة تعيش.. وتمتد.. بينما هي تذوق وتموت، ثم الرضاع والرعاية حيث تعطي الأم عصارة لحمها وعظمها في اللبن، وعصارة قلبها وأعصابها في الرعاية وهي مع هذا وذلك فرحة سعيدة رحيمة ودودة، لا تمل أبداً ولا تكره تعب هذا الوليد. وأكبر ما تتطلع إليه من جزاء أن تراه يسلم وينمو، فهذا هو جزؤها الحبيب الوحيد! فأنى يبلغ الإنسان في جزاء هذه التضحية، مهما يفعل، وهو لا يفعل إلا القليل الزهيد.." [68].

68 المصدر السابق، ج6، ص: 3262

4- اهتمام سيد قطب رحمه الله بعلم الفلك والفيزياء في تفسيره

في صدد حديثه عن تفسير قوله تعالى (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**) [الملك:15] يقول رحمه الله:

" ...والناس لطول ألفتهم لحياتهم على هذه الأرض؛ وسهولة استقرارهم عليها، وسيرهم فيها، واستغلالهم لتربتها ومائها وهوائها وكنوزها وقواها وأرزاقها جميعاً.. ينسون نعمة الله في تذليلها لهم وتسخيرها...والقرآن يذكرهم هذه النعمة الهائلة، ويبصرهم بها، في هذا التعبير الذي يدرك منه كل أحد وكل جيل بقدر ما ينكشف له من علم هذه الأرض الذلول. والأرض الذلول كانت تعني في أذهان المخاطبين القدامى هذه الأرض المذللة للسير فيها بالقدم وعلى الدابة، وبالفلك التي تمخر البحار. والمذللة للزرع والجني والحصاد. والمذللة للحياة فيها بما تحويه من هواء وماء وتربة تصلح للزرع والإنبات...فمما يقوله العلم في مدلول الأرض الذلول: إن هذا الوصف:{ذلولاً }..الذي يطلق عادة على الدابة، مقصودة في إطلاقه على الأرض! فالأرض هذه التي نراها ثابتة مستقرة ساكنة، هي دابة متحركة... وهي في الوقت ذاته ذلول لا تلقي براكبها عن ظهرها، ولا تتعثر خطاها، ولا تخضه وتهزه وترهقه كالدابة غير الذلول!.. إن هذه الدابة التي نركبها تدور حول نفسها بسرعة ألف ميل في الساعة، ثم تدور مع هذا حول الشمس بسرعة حوالي خمسة وستين ألف ميل في الساعة. ثم تركض هي والشمس والمجموعة الشمسية كلها بمعدل عشرين ألف ميل في الساعة...ومع هذا الركض كله يبقى الإنسان على ظهرها آمناً مستريحاً مطمئناً معافى لا تتمزق أوصاله، ولا تتناثر أشلاؤه، بل لا يرتج مخه ولا يدوخ، ولا يقع مرة عن ظهر هذه الدابة الذلول! وهذه الحركات الثلاث لها حكمة. وقد عرفنا أثر اثنتين منها في حياة هذا الإنسان... فدورة الأرض حول نفسها هي التي ينشأ عنها الليل والنهار..ودورتها حول الشمس هي التي تنشأ عنها الفصول. ولو دام فصل واحد على الأرض ما قامت الحياة في شكلها هذا كما أرادها الله. أما الحركة الثالثة فلم يكشف ستار الغيب عن

حكمتها بعد..والله جعل الأرض ذلولاً للبشر بأن جعل لها جاذبية تشدهم إليها في أثناء حركاتها الكبرى، كما جعل لها ضغطاً جوياً يسمح بسهولة الحركة فوقها. ولو كان الضغط الجوي أثقل من هذا لتعذر أو تعسر على الإنسان أن يسير ويتنقل حسب درجة ثقل الضغط، فإما أن يسحقه أو يعوقه. ولو كان أخف لاضطربت خطى الإنسان أو لانفجرت تجاويفه لزيادة ضغطه الذاتي على ضغط الهواء حوله، كما يقع لمن يرتفعون في طبقات الجو العليا بدون تكييف لضغط الهواء!...والله جعل الأرض ذلولاً بأن جعل الهواء المحيط بها محتوياً للعناصر التي تحتاج الحياة إليها ، بالنسب الدقيقة التي لو اختلت ما قامت الحياة، وما عاشت إن قدر لها أن تقوم من الأساس. فنسبة الأكسجين فيه هي 21% تقريباً، ونسبة الأزوت أو النتروجين هي 78% تقريباً، والبقية من ثاني أكسيد الكربون بنسبة ثلاثة أجزاء من عشرة آلاف وعناصر أخرى. والله جعل الأرض ذلولاً بآلاف من هذه الموافقات الضرورية لقيام الحياة...ومنها حجم الأرض وحجم الشمس والقمر، وبعد الأرض عن الشمس والقمر. ودرجة حرارة الشمس. وسمك قشرة الأرض. ودرجة سرعتها.. ونسبة توزيع الماء واليابس فيها. وكثافة الهواء المحيط بها.. إلى آخره..إلى آخره. وهذه الموافقات مجتمعة هي التي جعلت الأرض ذلولاً..." [69].

وبعد عرض هذه المقتطفات الرائعة وهذه النماذج النادرة من تفسيره لكتاب الله عز وجل، يتضح لنا أصالة ونزاهة المنهج والفكر النير، للأستاذ الشهيد سيد قطب، كما اتضحت لنا طبيعة من خلال عرض آراءه وملامح فكره المؤهلات العلمية والثقافية والأخلاقية والروحية وتنوعها الذي كان يمتع هذا المفسر المرحوم، مما جعلته رائدًا ومثاليًا يحسن الاقتداء به في هذا الفن. فرحمه الله رحمة واسعة وجعلنا من أمثاله، إنه تعالى أكرم مسئول وخير مأمول.

69 **في ظلال القرآن**، ج 6، 3637 - 3638

الخاتمة

ولقد توصل الباحث بحمد الله تعالى إلى ختام هذه الدراسة بتوفيق الله تعالى وبعد جهد جهيد وعمل متواصل، وأحمد ربي حمد الشاكرين المخلصين أن منّ علي بنعمة الصحة والعافية أثناء كتابة هذا البحث و له الحمد جل وعلا أن بارك في وقتي، حتى تم في وقته المناسب. هذا، ويحسن بنا في هذا المقام – بعد أن تجولنا في عالم التفسير ومسالكه مع الأستاذ سيد قطب رحمه الله، وعشنا في ظلال تفسيره واستمتعنا بمائه العذب وهوائه الطلق الصافي النقي، واستعلت أرواحنا وأفكارنا على مادية هذه الحياة الدنيا وتهافتها وانحطاطها – أن أورد أهم النتائج التي استطعت أن أقف عليها أثناء الدراسة. ومن هذه النتائج:

لقد كشفت الدراسة عن عصر سيد قطب وصورتها السياسية وتكالب القوى الصهيونية والصليبية على الإسلام والمسلمين، حيث الاستعمار والحروب. كما كشفت الدراسة عن الحالة الدينية التي كانت حافلة بالاضطرابات والفتن والصراعات المذهبية بين الشيوعية والإلحادية. بالتعرف على شخصية الأستاذ سيد قطب في إطار بيئته.. وقفنا على شخصية علمية من الطراز الفريد، ونموذج حي من أعلام التفسير. ولعل من أهم الأسباب التي جعلت سيداً ينجح في دعوته أيما نجاح، وأن يحظى تفسيره بحظ وافر، أن سيد قطب عاش في عصر المشاكل والتحديات الحضارية الغربية والأمريكية. ومع كونه مفسراً وأديباً وذا خبرة بعلم الاجتماع مما جعله يعيش قضيته ويتألم لآلام الأمة، ويكون دقيقاً في تحليلاته واجتهاداته. أثبتت هذه الدراسة من خلال النظرة الموضوعية والمنهجية المتجردة، أن سيد قطب رحمه الله طرق مجال الدعوة في تفسيره بمنهج علمي قرآني دقيق ومتكامل، وأن هذا المنهج في فهمه لكتاب الله وافق قواعد الشرع والأصول واللغة. برزت شخصية الأستاذ سيد قطب كإمام في الدعوة ورائد في التفسير، من خلال مواقفه العلمية والشخصية القوية أمام طواغيت عصره، فلم يكن حاطب ليل أو يقف موقف الناظر من بعيد دون التوغل والنزول إلى ساحة الدعوة في تفسيره لآيات الله تعالى. كما رصد البحث موقف سيد قطب من الأنظمة والأوضاع الحالية، حيث لم يتساهل فيها، وإنما كان يجهر بالحق ولا يخشى في الله لومة لائم. لقد وقف الأستاذ سيد

قطب في منهجه على قمة المذاهب والفرق العصرية والهدامة في ذلك العصر، ومن رآه علم مقدار ما عنده من علم بأحوال العالم. سجل الأستاذ سيد قطب في تفسيره دعوته إلى تفسير ومنهج حركي الذي لم يسبق إليه من قبل، وأبرز مكانته كمفسر وداع مما فاق أقرانه ومعاصريه وكان خير مثال للمفسر يقتدى به في العصر الحاضر في كيفية تفسير كتاب الله عز وجل، مراعياً الواقع المعاصر وتحدياته ومتطلباته العلمية والثقافية وملتزماً بآداب وبمنهج السلف الصالح، فرحمه الله واسعة وجعلنا من أمثاله إنه تعالى سميع قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

1. **قائمة المصادر والمراجع**

2. **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، فهد بن عبد الرحمن بن الرومي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1986
3. **الإتقان في علوم القرآن**، للإمام أبي عبد الرحمن السيوطي، (المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني).
4. **الأصولية الإسلامية – دراسة في الخطاب الإيديولوجي و السياسي عند سيد قطب**، تأليف الدكتور أحمد موصللي (الناشر لطباعة والتوزيع والإعلان ، 1993م).
5. **بحوث منهجية في أصول التفسير**، الصباغ، لطفي، المكتب الإسلامي، ط1، 1987، بيروت، لبنان.
6. **البرهان في علوم القرآن**، للإمام أبي عبد الله برهان الدين الزركشي، (المكتبة الالكترونية الشاملة) الإصدار الثاني).
7. **التصوير الفني للقرآن**، سيد قطب، دار الشروق، (ط.د.)، (ت.د).
8. **تفسير البحر المحيط**، للإمام أبي حيان الأندلسي، (المكتبة الالكترونية الشاملة- الإصدار الثاني) 2006
9. **تفسير القرآن العظيم**، للإمام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقي، دار القلم، دمشق، 1983.
10. **التفسير والمفسرون**، محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، 2005.
11. التمرد على الأدب – دراسة في تجربة سيد قطب، تأليف على شلش (الشروق، بيروت ، 1994م).

12. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تفسير الطبري، المسمى لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (المكتبة الالكترونية الشاملة)، الإصدار الثاني، 2006

13. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

14. **خصائص التصور الإسلامي**، قطب، سيد، ط8، 1983، دار الشروق، بيروت

15. **دراسات إسلامية**، قطب، سيد، ط9، 1993، دار الشروق، بيروت.

16. **سيد قطب الأديب الناقد**، تأليف صلاح عبد الفتاح الخالدي (مكتبة المنار الأردن ، 1983م)

17. **سيد قطب الشهيد الأعزل**، تأليف محمد قطب، (المختار الإسلامي، القاهرة ، 1973)

18. **سيد قطب الشهيد الحي**، الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ط2، 1985، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن.

19. **سيد قطب المفترى عليه**، القحطاني، محمد بن دليم آل دليم، ط1، 1413هـ، دار الطيبة، الرياض.

20. **سيد قطب المفترى عليه**، محمد دليم آل دليم، دار طيبة، الرياض ، 1992م.

21. **سيد قطب سيرة ذاتية**، عبد الفتاح، علي، ط1، 1996، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت.

22. **سيد قطب من القرية إلى المشنقة**، تأليف عادل حمودة، (سينا للناشر القاهرة، 1987)

23. **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، لصلاح عبد الفتاح الخالدى، (دار القلم دمشق 1991م

24. **سيد قطب و تراثه الأدبي و الفكري**، تأليف إبراهيم بن عبدالرحمن البليهي. (الرياض، السعودية، 1972

25. سيد قطب والنقد الأدبي، تأليف محمد الأول أبو بكر، (دار الرقاعي، الرياض، 1990م)

26. **سيد قطب، حياته وأدبه**، عبد الباقي، محمد حسين، ط1-1986، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة.

27. **سيد قطب، خلاصة حياته**، منهجه في الحركة، النقد الموجه إليه، بركات، محمد توفيق، بلا تاريخ.

28. **العدالة الاجتماعية**، قطب، سيد، دار الإخوان للصحافة و الطباعة، مطبعة دار الكتاب العربي، 1952

29. **الفكر الإسلامي المعاصر- دراسات وشخصيات- سيد قطب**، الموصللي، أحمد صلاح الدين؛ بحث مقارن لمبادئ الأصوليين والإصلاحيين، دار خضر للطباعة والنشر، ط1-1990، بيروت.

30. **في ظلال القرآن -رؤية استشراقية**، أوليفيه كاريه، ترجمة محمد رضا عجاج،ط1، 1993،الزهراء للإعلام العربي.

31. **في ظلال القرآن في الميزان - دراسة و تقويم**- عبد الفتاح صلاح الخالدي، ط 1، 1986، دار المنارة للنشر.

32. **في ظلال القرآن، بقلم سيد قطب**، ط 11، 1985، دار الشروق، القاهرة.

33. **قاموس الأعلام، الزركلي، خير الدين**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1987

34. **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط2، 1989، دار القلم،

35. **كيف نتعا مل مع القرآن العظيم**، القرضاوي، يوسف دار الشروق، ط1، القاهرة،

36. **لماذا أعدموني**، قطب،سيد، كتاب الشرق الأوسط، الناشر الشركة السعودية للأبحاث والتسويق.

37. **مباحث في علوم القرآن**، القطان، مناع، ط5، 1981، دار غريب للطباعة، القاهرة .

38. **مدخل إلى التفسير و علومه**، زرزور ، محمد عدنان ،ط1، دار القلم، 1995، دمشق.

39. **المستقبل لهذا الدين**، قطب، سيد، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، 1988، مطبعة الفيصل.

40. **مشاهد القيامة في القرآن**، قطب، سيد، ط1، 1947 .

41. **مع سيد قطب في فكره السياسي والديني**، تأليف مهدي فضل الله ، (بيروت، 1989)

42. **معالم في الطريق**، قطب، سيد، 1980، دار الشروق، بيروت .

43. **مفاتيح الغيب**، المشتهر بالتفسير الكبير للإمام محمد الرازي فخر الدين بن لعلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، (المكتبة الشاملة)

44. **مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة**، خالد بن عبد الكريم اللاحم، ط1، 2004، الرياض، المملكة العربية

45. **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ط2، 1994، دمشق، دار القلم.

46. **مفتاح كنوز في ظلال القرآن**، محمد يوسف عباس،دار الطيبة للنشر، ط1، 1987.

47. **مقدمة في أصول التفسير**، للإمام ابن تيمية، ط2، دار الحديث، 1982، بيروت.

48. **مقومات التصور الإسلامي**، قطب، سيد، ط 8، دار الشروق، 1983، بيروت.

49. **مناهج المفسرين**، للمؤلفين :مسلم آل جعفر و محي هلال السرحان ،ط1، 1980، دار المعرفة

50. **نحو مجتمع إسلامي**، قطب، سيد، ط8، 1988، دار الشروق .

51. **نظرية التصوير الفنى عند سيد قطب**، لصلاح الدين عبد الفتاح الخالدي (دار الفرقان ، عمان 1983م)

52. **هذا الدين**، قطب، سيد، دار الشروق، 1980